السنة التاسعة (رجب سنة ١٣٦١ – يوليه سنة ١٩٤٢ م) العدد الأول

صحيفة دار العلوم

م ١٩٣٤ ع ١٣٥٢ هـ

تصدرها « جماعة دار العلوم »
كل ثلاثة أشهر

المدير | رئيس التحرير
محمد نجيب حتاتة | محمد على مصطفى

المراسلات الخاصة بالتحرير ترسل باسم رئيس التحرير
بنادى دار العلوم ٧٧ شارع الملكة نازلى

الاشتراكات والحوالات المالية
ترسل باسم أمين الصندوق
السباعى بيومى
المدرس بدار العلوم
مكتب بريد الدواوين

الاشتراك السنوى

فى القطر المصرى	٢٠ قرشاً
خارج القطر	٣٠ قرشاً
ثمن العدد	٥ قروش

مطبعة العلوم بشارع الخليج ١٦٢

إنَّ باحثاً مُدقِّقاً لو أرادَ أن يعرفَ أينَ تموتُ
اللغةُ العربيةُ وأينَ تحيا، لوجدَها تموتُ في كلِّ مكانٍ
وتحيا في دارِ العلومِ”

الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده



بسم الله الرحمن الرحيم

من ملامح الشعراء
فى شعر الجارم

للأستاذ على النجدى ناصف

يتأثر الإنسان بقراءة آثار غيره كما يتأثر بصحبته ؛ لأن القراءة نوع من الصحبة : تؤثر فى آراء القارىء ، ومذاهب تفكيره ، وأساليب تعبيره ، وفى النظر إلى الأشياء والحكم عليها .

والمقصود بالقراءة هنا قراءة الدرس والمراجعة ، لا قراءة التسلية وإزجاء الفراغ ؛ فهذه لا نتيجة لها ولا أثر ، إلا كما يكون للطعام لا يعنى طاعمه بتذوقه ومضغه .

ويختلف الناس فى التأثر بالقراءة باختلاف شخصياتهم : قوة وضعفا ، وصلابة ولينا ثم باختلاف نظرهم إلى من يقرءون لهم ، واختلاف منازلهم منهم واعتبارهم إياهم ؛ حتى ليكون هذا التأثر فى بعض أخذا واقتباساً ، وفى بعض آخر وحيا وانفعالا ، أو تذكرا وانتباها .

وليس ثمة قاعدة مقررة أو قانون معروف ، يمكن أن يعين على التحقيق ما يأخذ القارىء وما لا يأخذ من خصائص المقروء له ، ولكن يمكن أن يقال على وجه الإجمال : إن أحق هذه الخصائص بتوجيه القارىء والتأثير فيه —

أقربها إلى طبعه وأشبهها بأسلوبه فى أداء رسالته، كالنبت فى مغارسه: لا يأخذ من عناصر التغذية إلا ما تطلبه طبيعة نوعه، وتقتضيه مزايا ثمره.

فالشخصية الفنية إذا — موهبة طبيعية يمنحها الله من يشاء من خلقه. أما الثقافة فمادتها وصيقلها وصاحب صبغتها ولأمر ما يقال: صمصامة عمرو، ولكن أين يمينه؟

والإنسان إذ يتأثر بقراءة غيره لا يفقد استقلال شخصيته وخصائص ذاته، كما أن الفرع إذ يرث بعض خصائص أصلية — لا يفقد شيئا من هذا أو تلك.

والأستاذ الجارم أديب كبير، عالج الشعر وعرف به منذ كان غلاما ناشئا وأقدم قصائد ديوانه قصيدة الفخر، قالها سنة ١٩٠٠، أى لنحو اثنين وأربعين سنة خلت. ومنها:

سئمت حياتى بين قوم، فضائلى لديهم يغطيها التدابر والحقد
إذا ما بدت ترنو إليهم فضيلة تصدى لها نذل، وكر لها وغد

وليس يعنينا كثيرا فى هذا المقام أن تكون هذه القصيدة أولا محتفظة إلى اليوم بالصورة التى كانت عليها يوم قيلت لم يمسسها تغيير ولا تحوير، ولكن الذى يعنينا ولا شك فيه عندنا أن ثمة قصائد أخرى تقدمتها، وتدرج الشاعر صعدا فى معالجة نظمها حتى بلغ هذا المبلغ من الاقتدار على التصرف فى نظم الكلام. فهو إذا قد مارس الأدب والشعر عصرا طويلا، وإن له به مع ذلك لولوعا عظيما، لم يقلل منه لهو الشباب ولا جهاد الكهولة وأثقال الوظائف

استمع إليه يتحدث عن عهد الشباب، ويذكر كيف كان يلهو فيه:

فى حديث أحلى من الأمل الحلـو، وأصفى ديباجة من شراب
كل فصل كأنه صفحة الرو ض، وعند العقار فصل الخطاب

ومجون يحوطه الأدب الجم فما راعه اللسان بعاب

يتغنون بالنواسى حينا وبشعر الفتى أبى الخطاب

ثم استمع إليه يتحدث عن برنامج عمله اليومى ، حين يعكف على نفسه ويفرغ لمطالب وجدانه بعد أن طرح رداء الشباب :

إنى طرحت من الشباب رداءه وثنيت عن لهو الصبابة جيدى

واخترت من صحف الأوائل صاحبى وجعلت مأثور البيان عقيدى

وإذا لا بد أن يكون الشاعر قد قرأ كثيرا ، وحفظ كثيرا ، وتأثر بكثير ثم هو قد جمع بين الثقافتين : الشرقية الإسلامية ، والغربية الإنجليزية ؛ فأتيح له الاتصال بقليل أو كثير من أدباء الغرب ومفكريه : يقرأ لهم ، ويسمع منهم ، ويتأثر بهم . فمن العسير جدا ، بل من المتعذر الذى لا سبيل إليه — أن نحصى الذين تأثر الجارم بهم ، وأن نصف آثارهم فى شعره . ولكننا نستطيع أن نقول مطمئنين : إن دراسته الإنجليزية لم تنل من عربية شعره ، أو تغير من سمته الأصيل فى أى ناحية من نواحيه . فلست بواجد فيه أثارة غريبة على الذوق العربى الخالص ، كالتى يمكن أن تجدها فى شعر كثير ممن جمعوا بين الثقافتين .

وقد يقال فى تقليل ذلك : إن الجارم قد أنفق فى دراسته الشرقية من الجهد والوقت أعظم وأطول مما أنفقه منهما فى دراسته الغربية ؛ فإذا هو فى الأولى عميق متبحر ، وإذا أثرها فيه أوسع مدى وأبعد غورا . ثم إنه بحكم عمله الرسمى فى مختلف المناصب التى تولاها لا يكاد يجد من قلبه وعقله متسعا لغير العربية وثقافتها وكل مايمت إليها أو يتصل بها .

وهذا بلا شك كلام وجيه ، لكنه على وجاهته — لا ينتظم جميع الأسباب التى تعلل هذه الخصيصة من خصائص الشاعر ، أو بعبارة أدق لا يتناول

سببها الأصيل ؛ فبعض الأدباء ممن لم ينالوا من الثقافة الغربية مثل ما نال الجارم — يحلو لهم أن يتكلفوا العجمة ، وأن يتشدقوا بالدعوة إلى اصطناع أساليبها وإيثار خصائصها فى الأدب والشعر . ومن هؤلاء من لم ينالوا من الثقافة الغربية المنظمة إلا طفاوات يسيرة ، هيهات لمثلها أن تقع من الطبيعة المستقيمة بموقع السيطرة والتوجيه ، لكنه الطبع الشاذ ، أو الميل مع الهوى ، أو الفتون بكل أجنبي غريب .

هناك إذا سبب آخر مهم ، إليه يرجع الفضل فى تفرد الجارم بهذه المزية بين أنداده . ذلك هو حبه الخالص للعرب والعربية . وفخره بالانتساب إليها ، وولعه بتعداد مزاياها وضرب الأمثال بها فى كثير من المواقف . وأحفل قصائده بهذه المعانى قصائد المجمع اللغوى ، وبغداد ، واللغة العربية ودار العلوم ، والعربية فى ماضيها وحاضرها ، ومصر . ومن قوله يحي العرب ، ويصف حبه إياها ، ويلحى خصومها :

سر يا قريض إلى العروبة مسرعا وانزل بآفاق بها ونواحى
وامزج بمسكى الأثير تحية لعشائر شم الأنوف سماح
شحوا بأن تلد المكارم غيرهم وهم على النجدات غير شحاح

ثم قال :

حب العروبة قد جرى بمفاصلى بالرغم من هذر الحديث ملاحى

ومن قوله يفخر بالانتساب إلى العرب :

نحي بنى العرب الأوفياء ونسمعهم غرد البلبل
أولئك قومى بناة الفخار وزين المحافل والجحفل

ذلك موقف شعر الجارم من ثقافته الغربية كما يتمثل لى . أما موقفه من الشعر العربى فهو نمط منه سليم ، يجرى على سننه ، ويلتزم خصائصه كأحسن

مايكون الفرد بين آحاد نوعه. ونحن مع هذا واجدون فيه سمات لبعض الشعراء تدل عليهم، أو ماشابه تذكر بهم. وأكبر الظن أن ليس هناك أكثر من هذا. فالسرقات الشعرية كما أفهمها، وكما يدل عليها اسمها — لا أثر لها فيه على ماأرجح. فهى فى أشمل معانيها، وأبعدها من التعسف والسرف — أن يعمد الشاعر إلى معنى لغيره أو شىء من كلامه، فيأخذه عن علم، ويدعى نسبته إليه. وهى بهذا المعنى جديرة أن تكون من عبث الخليين، أو تكلف الشداة والأدعياء. أما ذوو الجد والتصون وأصحاب الرياضة والطبع فهيهات أن تطوع لهم أنفسهم تعاطيها؛ غناء بما تجود به قرائحهم، أو أنفة واستكبارا ومايجىء فى أشعارهم من آثار غيرهم فالراجح أنه لايجىء استراقا ولكن عفوا غير مقصود. ذلك بأن الشاعر حين يقرأ أو يحفظ إنما يختزن من نتاج غيره ذخائر حاضرة مهيأة، ولكنها تصير بمر الزمن إلى غياهب النسيان. وكلما بعد بها العهد وطال عليها القدم — زادت معالمها طموسا واندثارا، حتى لايبقى منها شىء يمكن أن يذكر بها. وقد تظل كذلك أبدا كأن لم تكن من قبل شيئا، وربما تهيأت لها فرصة مؤاتية؛ فتنجاب عنها حجب النسيان فى ساعة من ساعات الإشراق التى يتجلى فيها ذهن الشاعر ثاقبا متلألئا، يعنو إليه العصى الممتنع من الطرائف المستحدثة، ويتداعى إليه المحجب المكنون من الذخائر التى حصلها من قبل بالقراءة والحفظ: توافيه على صورها الأولى كيوم علقت به، أو على صورة أخرى فيها إضافة أو حذف أو تغيير. وربما غم نسبها عليه، فلم يرها أجنبية منه، ولم يميز بينها وبين مبتكراته؛ فيعرضها معا على أنها له. وقد تظل نسبتها خافية عليه لايدرى من أمرها شيئا، حتى يذيع الشعر، ويتداوله الناس، ويتقول عليه المتقولون.

ثم هنالك اتفاق الخواطر، وهو ظاهرة شائعة الوقوع، تعرض لنا فى

كثير من مسائلنا اليومية ، وتتمخض أحيانا عن نوادر عجيبة لا تكاد تصدق ومنشؤها فيما يظهر — توافق الوجدان عند بعض الناس فى شىء بعينه؛ لسبب ما من الأسباب الموجبة لهذا التوافق ؛ فتتوجه الأفكار وجهة واحدة ، وقد تقع إذ ذاك على معنى واحد ، فإذا هو قنص فى شركين لصائدين فى عصر واحد أو عصرين مختلفين .

وإذا أضيف إلى ذلك أن العرف الأدبى قد يختص بعض المعانى بعبارات معينة ، يلتزمها أو يكاد فى التعبير عنها ، أو على الاقل لا يرى بأسا من التزامها كأنها التراكيب الاصطلاحية أو الأمثال السائرة — إذا أضيف هذا إلى ذلك لم يكن من الغريب أن يفضى اتفاق الخواطر أيضا إلى الاتفاق او التشابه فى الألفاظ والعبارات فى بعض الأحيان .

إذا ، فليس من الدقة فى الحكم ، ولا مما تطمئن اليه النفس المنصفة — أن يقول قائل عن شاعر ذى موهبة : إنه أخذ قوله كذا من فلان ، لمجرد أن بين القولين نوعا من المشابهة أو الاتفاق ، وأن الشاعر الأول لاحق والآخر سابق ، مالم تقم إلى جانب ذلك بينة مؤيدة أو قرينة مرجحة . وإذا كان قدامى النقاد والأدباء قد توسعوا فى تحديد السرقة ، وأباحوا لأنفسهم الاتهام بها لأدنى مشابهة — فقد يكون عذرهم فى هذا أن جمهرة منهم كانت تراها نوعا من البديع [1] ، وهم قد اولعوا به وحرصوا على اصطناعه دهرا طويلا . أما نحن فما عذرنا إذا أخذنا فى ذلك إخذهم مع أن رأينا فى السرقة غير رأيهم ، وموقفنا من البديع غير موقفهم . وإذا لا نستطيع أن نقول فى غير تحفظ : إن الجارم أخذ قوله :

بهر الغرب طلعة منك كادت تتمشى شوقا لها أرجاؤه

(١) راجع الطراز : ٣ : ١٨٩

من قول أبي تمام :

تكاد مغانيه تهش عراصها   فتركب من شوق إلى كل راكب

أو قوله :

أينما سار فالعيون نطاق   وقلوب المجاهدين وقاؤه

من قول المتنبي :

وخصر تثبت الأبصار فيه   كأن عليه من حدق نطاقا

أو قوله :

فإن سمعت رنينا كله عجب   فالعود عودي والأوتار أوتاري

من قول المتنبي ايضا :

أجزني إذا أنشدت شعراً فإنما   بشعري أتاك المادحون مردداً
ودع كل صوت بعد صوتي فإنني   أنا الصائح المحكي والآخر الصدى

أو قوله :

ولرب قافية بها   ماشئت من خيل وجند
تسري فلا صعب بصعـ   ـب ، لا ، ولا بعد ببعد
تثب الجبال ومالها   بين الكواكب من مصد

من قول المتنبي كذلك :

وعندي لك الشرد السائرا   ت، لا يختصصن من الأرض دارا
قواف إذا سرن عن مقولي   وثبن الجبال وخضن البحارا

أو قوله :

مر بالشمس فلم تشعر به   إذ جرى ـ إلا ظنونا واشتباها

من قول ابن هانىء الأندلسي :

وأجل علم البرق فيها أنها   مرت بجانحتيه وهي ظنون

والآن ، ماذا فى شعر الجارم من ملامح الشعراء ؟ فيه منها غير قليل ، إلا أننا سنقصر الحديث على أبينها سمة ، وأوضحها دلالة على أصحابها.

ففى غزله اتجاه إلى طريقة عمر بن أبى ربيعة فى غزله ، إذ يقص الوقائع ويدير الحوار بينه وبين صاحبته حينا ، وبينها وبين صواحبها حينا آخر. ومن يدرى لعل الجارم لو أكثر الغزل مثله لكان أكثر به تشبها ، وإليه اتجاها . قال عمر :

أزهقت أم نوفل إذ دعتها مهجتى ، مالقاتلى من متاب
حين قالت لها: أجيبى ، فقالت من دعانى؟ قالت: أبو الخطاب
أبرزوها مثل المهاة تهادى بين خمس كواعب أتراب

وقال الجارم :

قالت خليلتها لها لتلينها ماذا جرى لما هجرت فتاك ؟
هى نظرة لاقت بعينك مثلها ماكان أغناه ، وما أغناك
قد كان أرسلها لصيدك لاهيا ففررت منه ، وعاد فى الأشراك

وفيه من المتنبى اصطناع الحكمة وضرب الأمثال ، ثم الاستكثار من الفخر بشعره والإعجاب به .

قال المتنبى :

يموت راعى الضأن فى جهله موتة جالينوس فى طبه
وربما زاد على عمره وزاد فى الأمن على سربه
وغاية المفرط فى سلمه كغاية المفرط فى حربه
فلا قضى حاجته طالب فؤاده يخفق من رعبه

وقال الجارم :

متعبة الإنسان فى حسه وشقوة الإنسان من فكره

كيف يرجى العصفور من كائن الحمأ المسنون فى ذره
لم يسم للأملاك فى أوجها ولا هوى للوحش فى قفره
رام اللباب المحض من سعيه فلم ينل منه سوى قشره
يسعى ومايدرى إلى نفعه سعيا حثيثا — أم إلى ضره

وقال المتنبى :

وما الدهر إلا من رواة قصائدى إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا
فسار به من لايسير مشمرا وغنى به من لايغنى مغردا

وقال الجارم :

إذا قلته ألقى عطارد سمعه وساءل شمس الأفق : من هو قائله ؟
وإن سارت الريح الهبوب بجرسه فآخر أكناف الوجود مراحله

وفيه من ابن الرومى التوسع والإيغال بعض الأحيان فى المعنى الفرعى، يقع له عرضا أو استطرادا فلا يزال يمضى فيه ، ويلح عليه بالإضافة والتوليد حتى يجعل منه وحدة فنية قائمة بنفسها ، ذات صور ومشاهد متنوعة . قال ابن الرومى من قصيدة يعاتب بها أبا القاسم التوزى الشطرنجى :

غلط الناس، لست تلعب بالشط رنج ، لكن بأنفس اللعباء
أنت جديها . وغيرك من يلـ عب ، إن الرجال غير النساء
لك مكر يدب فى القوم أخفى من دبيب الغذاء فى الأعضاء
أو دبيب الملام فى مستهامين إلى غاية من البغضاء
أو مسير القضاء فى ظلم الغيـ ب إلى من يريده بالتواء
أو سرى الشيب تحت ليل شباب مستحير فى لمـــة شمطاء
تقتل الشاة حيث شئت من الرقـ عة ، طبا بالقتلة النكراء
غير ما ناظر بعينك فى الدسـ ـت ، ولا مقبل على الرسلاء

بل تراها وأنت مستدبر الظهـ ـر ، بقلب مصور من ذكاء

مارأينا سواك قرنا يولى وهو يردى فوارس الهيجاء

رب قوم رأوك ريعوا فقالوا: هل تكون العيون فى الأقفاء؟

والفؤاد الذكى للمطرق المعـ ـرض ـ عين يرى بها من وراء

تقرأ الدست ظاهرا فتؤديـ ـه جميعا كأحفظ القراء

وقال الجارم من قصيدته فى رثاء المغفور له الملك فؤاد :

دفع الشعب للسبيل فكانت من سنا هديه أمانا ورشدا

ملهبا عزمه إذا اجتاز غورا مستحثا إذا تسلق نجـدا

كلما خار أجزأت بسمة منـ ـه ، فمـد الخطا حثيثا وجدا

ومضى كالقضاء يهوى لمرما ه ، جريئا مجمع القلب جلدا

يبهر الصخر أن يرى منه صلدا آدمى الرواء يقرع صـلدا

لايبالى إذا سعى للمعالى خبط الشوك ، أم توطأ وردا

وفؤاد أمامه خير هاد قاد للغاية البعيـدة جندا

كان للمقدمين روحا وقلبا ولركب السارين كفا وزندا

لو دعاهم إلى النجوم لساروا خلفه ، يزمعون للنجم قصدا

وإذا اليأس مسهم كان عطفا وسلاما على القلوب وبردا

وربما كان تمرس الجارم بالتعليم وشئونه من عوامل هذه الظاهرة ، بل ربما كان عاملها الوحيد . فالمعلم لكثرة ما اعتاد من إفهام وشرح — لايؤثر فى بيانه الإلزجاء والعرض ، ولايطيب له الاكتفاء بهما دائما ، لكنه يكثر التلبث هنا وهناك ؛ لتوضيح مبهم ، أو تفصيل مجمل ، أو تقريب بعيد : إما بالتقرير والتفسير ، أو التفريع وجمع النظير ، أو ضرب المثل وتأليف التشبيه .

وفيه من أبى تمام تمكن القافية وشدة الاحتفال لها ، حتى كأنما يبدأ عمله فى البيت بالتماسها وإحالة النظر فيها . فإذا راقته أسس عليها البيت ، واستلهم فكرتها فى نظمه ، فلا يعدمك أن ترى هنا أو هناك صورة لها أو دليلا عليها بل لا يعدمك أن تراها بعينها فى أثناء البيت مرة ، وبمكانها منه مرة أخرى .

قال أبو تمام :

أمن بعد طى الحادثات محمـدا يكون لأثواب الندى أبدا نشر؟
إذا شجرات العرف جذت أصولها ففى أى فرع يوجد الورق النضر؟
لئن أبغض الدهر الخئون لفقده لعهدى به ممن يحب له الدهر
لئن غدرت فى الروع أيامه به فما زالت الأيام شيمتها الغـدر

وقال :

له ريقة طل ، ولكن وقعها بآثاره فى الشرق والغرب وابل
فصيح إذا استنطقته وهو راكب وأعجم إن خاطبته وهو راجل

وقال الجارم :

بنات الثغور يلعبن بالألـ ـباب ، لعب الشمول بالألباب
يتظاهرن بالحجاب ، وهل أذ كى الجوى غير لؤم ذاك الحجاب
كم وجوه تنقبت بسفور ووجوه قد أسفرت بنقاب

وقال :

فياويح للصدر الرحيب الذى غدا يزدحم الآلام غير رحيب
تدب به فى موطن الحلم علة لها كأصلال الرقش شر دبيب
نرى القلب منها واجبا أن تمسه فتتركه قلبا بغير وجيب

وفيه من البحترى وضوح المعنى ، وقرب المأخذ ، ورشاقة اللفظ . وربما كانت هذه الصفات من أخص صفات الجارم الفنية ، وأشدها تمكنا منه

ووضوحا فى شعره ، فإنك لتقرأ ديوانه كله : قصيدة قصيدة ، وبيتا بيتا فلا تكاد تقع فى معانيه على غموض أو تقييد ، ولا فى تراكيبه على ضعف أو اعتساف ضرورة ، ولا فى ألفاظه على نشوز أو ترخص فى الأوضاع أو انحراف عن سمت أفصح الاستعمالات . نمط من الموسيقا الشعرية ، متجاب النغم ، عذب الجرس ، يقوم على تأليفه وانتخاب وحداته ذوق فنى صحيح ، عظيم البراعة ، مرهف الحس دقيقه ، رفيع المجال ، تسعده ثروة ضخمة من لباب الأدب المنخل الكريم . قال البحترى يمدح المتوكل :

جمعت أمور الدين بعد تزيل ... بالقائم المستخلف المتوكل

بموفق للصالحات ميسر ... ومحبب فى الصالحين مؤمل

ملك إذا أمضى صريحة أمره ... لم يثن عزمته اعتراض العذل

بكرت جيادك والفوارس فوقها ... بالمشرفية والوشيج الذبل

غُرّ محجلة تحاول وقعة ... بالروم فى يوم أغر محجل

وقال الجارم يهنئ جلالة الملك فاروق بتولى سلطته الدستورية ويمدحه:

الملك فيك طبيعة ووراثة ... والمجد فيك سليقة ونجار

أعليت دين الله جل جلاله ... فرسا له أصل ، وطال جدار

الدين نور النفس فى ظلماتها ... والعقل يعثر والظنون تحار

بين المنابر والمآذن بهجة ... وتحادث بصنيعكم وحوار

آيات نبلك فى شبابك سبق ... للمجد ، لم يشقق لهن غبار

يبدو شذا الريحان أول غرسه ... ويبين قدر الدر ، وهى صغار

ولا تتخلى عن الجارم هذه الظاهرة أبدا ، حتى فى المواطن التى يقل فيها التخيل وتأليف الصور . وهذه مثلا أبياته فى وصف حوار للعالمين الجليلين: أحمد الإسكندرى ، وحسين والى (رحمهما الله) ، إذ كان كلاهما يرى فى لفظه

غير ماري صاحبه . استمع إليها ، فسترى الشاعر يحتفظ فيها بأناقة اللفظ ، وطلاوة العبارة ، ونصاعة البيان ، بالرغم من أنه يغلب فيها الحقيقة الواقعة على الصورة المتخيلة قال:

ويوما مع الإسكندرى رأيته يجاذبه فضل الحديث المشقق
فهذا يرى فى لفظه غير مارى أخوه ، ويختار الدليل وينتقى
فقلت : أرى ليثا وليثا تجمعا وأشدق ملء العين يمشى لأشدق
وأعجبنى رأى سليم ومنطق يصول على رأى سليم ومنطق
وقد لوحت أيديهما فكأنها إشارات رايات تروح وتلتقى
ولم أر فى لفظيهما نبر عائب ولم أر فى عينيهما لمح محنق
فقلت : هى الفصحى بخير-وإنها بأمثال هذين الحفيين ترتقى

والجارم فى المطولات مثله فى المقطعات وقصار القصائد : سمح فياض ، لا يأخذه إعياء ، ولا يعتريه نضوب ، سواء مباديه ومقاطعه : كالجـــدول السلسال ، يخلو له وجه الطريق ، ويسعده الفيض الغزير . وهو بعد هذا يلم فى مطولاته مع المقصد الأصيل بألوان شتى من المقاصد والفنون ، يتنقل فيها تنقل الطائر الغرد بين ألوان من النغم مختلفات . فهو حينا صديق مسامر : يتحدث عن منازع نفسه ، أو يعرض فلسفته فى الحياة ، أو يصف شعره ومبلغ حبه له . وحينا حكيم مجرب : يصور طبائع الناس ، ويكشف عن آرائه فيهم وتجاربه معهم . وحينا مصلح اجتماعى : يشخص داء من أدواء المجتمع ، أو يدل على ناحية من نواحى ضعفه ، أو يجلى سنن الكون ، أو يستخلص العبر من وقائع التاريخ وسير الأبطال ، ثم يهيب بقومه أن يستجيبوا له ، وينتهوا إلى مايدعوهم إليه.

ولا نزاع فى أن الذين ينظمون المطولات كثير ، والذين يتنقلون فيها بين

مختلف المقاصد والفنون كثير كذلك ، ولكن الذين يوفقون فيها توفيق الجارم قليل ، فإنك إذ تقرأ إحدى مطولاته لا تكاد تحس ضجرا أو تجد فتورا كالذى تحسه من كثير من مطولات غيره . وهو حين ينتقل أو يستطرد لا يتكلف الانتقال أو الاستطراد ؛ ابتغاء الجمع والاستكثار ، ولكنه يمضى إليهما استجابة لدواعى النمط الجامع المحيط ، لا يغادر شيئا ذا صلة بموضوعه إلا اتجه إليه ووقف عنده وأجال الفكر فيه ، فإذا أنت معه لا تؤخذ بالفجاءة ولا تحس نبوة ولا عنفا ، ولكن تنساب هنا وهناك فى دنيا الخيال والأحلام انسيابا لطيفا كله هينة ورفق .

ثم هو محب للطبيعة : يفكر فيها كثيرا ، ويذكرها كثيرا ، حتى لتوشك أن تكون مادة لفظه ، ومتنزل وحيه ، ومناط خياله ، كلماتها أحب الكلمات إليه وأسرعها استجابة له ، وصورها أقرب الصور إلى ذهنه وأكثرها شيوعا فى شعره ، حتى المراثى لها من ذلك حظ عظيم . قال يرثى المرحوم أمين لطفى بك :

فقدناه فقدان الأليف أليفه ... يصيح به فى كل روض ويسجع
يسائل عنه الأفق ، والطير حوم ... ويستخبر الأمواه ، والطير شرع
يدف فيحوى الأرض منه تأمل ... ويعلو فيعلو النجم منه تطلع
يظن حفيف الدوح خفق جناحه ... إذا همست منه غصون وأفرع
ويحسب تحنان الغدير هديله ... فيحبس من زفراته ثم يسمع
لقد ملت الغابات مما يجوسها ... وملء صماخ الليل مما يرجع

ولعل أهم ما يؤخذ الجارم به أنه حريص أشد الحرص على اصطناع صيغ التعبير المأثورة عن بلغاء العربية يقولونها لتحديد معنى أو تصوير مثل فى شتى مقاصد التعبير . وهى ظاهرة إذا أمكن اغتفارها للشادى المتكلف فمن

ذا يغفرها لصاحب الطبع الأصيل أو الرياضة الطويلة ! هيهات . فإنما هى صيغ قالها أصحابها للدلالة على خواطر جاشت بها نفوسهم أو صور تمثلت فى أخيلتهم بوحى من البيئة التى أظلتهم ، والعصر الذى كانوا يعيشون فيه . وهى إذا لا تصلح فى كل حال لمثل ما صلحت له عندهم ، لبعد ما بيننا وبينهم ومخالفة عصرنا لعصرهم خلافا كبيرا : هذا السيف مثلا قد أكثر الجارم من ذكره حتى ما تكاد تخلو قصيدة منه ، وشبه به حتى من لا مشابهة بينه وبينه .

قال يرثى إسماعيل صبرى باشا :

لو شهدت الردى يحوم عليه   والمنايا ترمى له الأحبولا

لرأيت الطود الأشم الذى كا   ن منيع الذرا كثيبا مهيلا

ورأيت الصمصام لا يقطع الضغ   ث ، وقد كان صارما مصقولا

وقال يرثى عاطف بركات باشا :

وأصاب من قبس الزكانة شعلة   وهاجة فغدت فتيت رماد

وطوى حساما منك فى جفن الثرى   قد كان يستعصى على الأغماد

وقال يرثى أمين لطفى :

مرضت فقلنا مشرفى بغمده   توارى ، ونجم عن قليل سيطلع

وتشبيه هؤلاء السادة وأمثالهم بالسيف عمل لا معنى له ، ولا باعث عليه إلا تقليد السابقين من الشعراء والحرص على اصطناع تعابيرهم ومذاهبهم فى الرثاء ولكن أين نحن منهم ، وأين عصرنا من عصرهم ؟ لقد كان السيف عدة العربى فى حياته ، والأداة اللازمة له فى غدوه ورواحه . يتقى به العدوان ويحمى الذمار ، ويدرك الثأر ، ويطالب المغنم ، وله فيه مآرب أخرى كثيرة فمعقول جدا أن يذكره فى مدحه ورثائه وكلما بدا له أن يذكره ، وهو دائما إذ يفعل صادق مؤثر ، وفنه سائغ مفهوم . أما نحن إذ نأخذ إخذه دون تفرقة

بين مقام ومقام فلا نجتلي معنى مقصودا ؛ ولا نصور مشهدا ماثلا، وإنما نمتضغ صيغا معادة لا تعبر عن مدلولاتها التعبير الصادق الأمين ، ولا تؤثر بمعناها كما تؤثر برنين جرسها وانسجام موسيقاها . وإذا كان من المناسب أن نشبه رجل الحرب أو الزعيم الوطني مثلا بالسيف فإن تشبيه أمثال صبري وعاطف وأمين لطفي به مما لا معنى له ولا مناسبة إلا على ضرب من التمحل بعيد

وأخريان يجنيهما الحرص على اصطناع صيغ التعبير المأثورة .أنه أولا يوقع في المبالغة وهي مما ينفر منه الذوق العصري، وأنه ثانيا يوقع في التلبيس وخلط السمات بعضها ببعض فاذا القيم متشابهة ، والمزايا طامسة المعالم والحدود.

فمن مبالغات الجارم قوله في رثاء المرحوم الشيخ النجار

إذا فاضت ينابعه خطيبا   علمت بأن ماء البحر ضحل

وقوله في رثاء المرحوم أبي الفتح الفقي :

خفقان نجم الأفق من خفقانه   وهجير قيظ البيد من زفراته
وبكاء كل غمامة هتانة   من بعض ما يبديه من عبراته

ومن التلبيس قوله في رثاء اسماعيل صبري :

أين ذاك الشعر الذي كنت تزجيـ   ـه ، فيسرى في الأرض عرضا وطولا
قد سمعناه في المزاهر لحنا   وسمعناه في الحمام هديلا
وشممناه في الكمائم زهرا   وشربناه في الكئوس شمولا
تنهب الدر من عقود الغواني   ثم تدعوه فاعلاتن فعولا

وقوله في رثاء الزهاوي :

تملك حر الشعر سن يراعه   فياعجبا أن حرر الشعر آسره
تمنى العذارى لو تقلدن دره   ورفت على أجيادهن جواهره
ويزهى العيون الدعج أن سوادها   شبيه بما ضمت عليه محاره
وما جاشت الصهباء إلا لأنها   وقد صفقوا مشمولها لا تناظره

وقوله فى رثاء داود بركات :

بيانك واضح القسمات صاف   يكاد يشع من فرط الصفاء
يكاد يسيل فى القرطاس لطفا   فتحسبه ملامة الانتهاء
بيان لو صدعت به الليالى   رأيت الصبح منها فى العشاء
له نور يكاد يسير فيه   رهين المحبسين بلا عناء
له النبرات ندعوها غناء   فتأبى أن تعد من الغناء
سلاف تنهل الأرواح منه   وتحمله السقاة بلا إناء
وروضات حلت فى كل عين   وأغرت بالأزاهر كل راءى

فهذه الصور الثلاث كما ترى - متشابهة كل التشابه ، حتى لتصلح كل منها أن تحل محل الأخريين . لا خلاف ولا مناقضة ، كأن الشاعر لم يعن بتتبع خصائص أصحابها والتمييز بينهم وتحديد مذاهبهم البيانية بقدر ما عنى بتتبع أقوال البلغاء فى وصف الكلام البليغ وتصوير أمثلة منه ، فاجتمع له من كلام هؤلاء ما لم يجتمع من خصائص أولئك فاذا هو لا يتحدث عنهم ، ولا يصف فنهم ولكنه يتحدث عن الكلام البليغ فى ذاته ، ويصف أمثلة من صوره وصفا معادا ، تغلب عليه البرقشة والتصنيع .

والجارم بعد هذا يعمل عمل المقلين أحيانا ، بما يكرر من الصور والمعانى فمن ذلك فى الرثاء صورة الروض يخطئه الرى ، فتصوح أشجاره ، وتجف أزهاره وتجفوه أطياره . ومنه فى وصف البحث والتقصى صورة الصائد الأيد ، يشتد فى طلب القنيصة دائبا مصرا ، لا يزيده وعث الطريق وفرط الجهد إلا مصابرة واحتمالا حتى يدرك مأمله . ومهما يكن حظ هاتين الصورتين وأشباهما من جمال الفن وروعة التأثير ، فان التكرار ولامراء - من عمل المقل وهو جدير أن يخلق ديباجتهما ويقلل تأثيرهما . قال من رثاء شوقى :

هل نعيتم للبحترى بيانه أو بكيتم لمعبد ألحانه ؟
أورأيتم روض القريض هشيما بعدما قصف الردى ريحانه ؟
فزعت طيره فحومن يبكيـن ذبول الخميلة الفينانة
كن فى ظلها يغنين للشر ق ، وينهضن للعلا شبانه

وقال فى رثاء الزهاوى :

جفا الروض مغبر الأسارير ماطره وغادره قفر الخمائل طائره
ذوى نبته بعد البشاشة وارتمت مصوحة أثماره وأزاهره
تلفت : أين الروض ؟ أين مكانه ؟ وأين مجاليه ؟ وأين بواكره

وقال من قصيدة اللغة العربية ودار العلوم :

رب شيخ أفنى سواد الليالى ساهد العين جاهدا غير وانى
من بحوث إلى كتابة نقد ثم من معجم إلى ديوان
يقنص الآبدات عزت على الصيـد ، فماست بين الربا والرعان ...
إن تسمعن نبأة غبن فى الريـح ، كسر يصان بالكتمان
فإذا ما أمن يخرجن أرسا لا ، كخيل نشطن من أرسان
كل جزء فى جسمهن له عيـن على الشر أوله أذنان
لم يزل صاحبى يعالج منهن نفارا مستعصيا ويعانى ....
وهى تلهو به ، فآنا تجافيـه ، وآنا تملى له فتدانى
مرة فى مدى يديه ، وأخرى ماله باقتناصهن يدان
لم يقف نادما يقلب كفيـه فعال المجوف الحيران
ثم كانت عواقب الصبر أن ذلـت له الشاردات بعد الحران

وقال فى رثاء شوقى :

كم يتيم من المعانى غريب مسحت كفه عليه فصانه
وشموس رنا إليه فألقى رأسه خاضعاً وأعطى عنانه

ونفور أزرى بصياده الطب وأعيا قسيه وسنانه
نظرة تلتقى به ينهب الوا دى ، وأخرى تراه يطوى رعانه
تسبق السهم عينه ، فتراه يتلوى تلوى الخيزرانه
ثم يخفى فلا تراه عيون ثم يبدو فلا تشك عيانه
أجهد الفارس الملح ، وأفنى نبله حوله ، وأضنى حصانه
وهو يعدو لا الرأس مال من الأيـ ن ، ولا قلبه شكا خفقانه
مد شوقى إليه نظرة سحر عوقت دون شوطه جريانه
فأتى مشية المقيد يسعى بين هول ، وذلة ، واستكانه

وثمة ظواهر أخرى للتكرار ، لا نرى داعيا لعرضها والتمثيل لها وحسبنا ما أوردنا من ذلك ، ففيه كفاية وغناء .

على الجندى ناصف
مفتش المعارف بالاسكندرية

حفلة توزيع جوائز
المرحوم أبى الفتح الفقى

أقامت جماعة دار العلوم فى ناديها يوم الجمعة الثامن من مايو سنة ١٩٤٢ حفلة شاى لتوزيع جوائز المرحوم أبى الفتح الفقى على الأول والثانى من خريجى دار العلوم سنة ١٩٤١.

وقد تفضل حضرة صاحب المعالى أحمد نجيب الهلالى باشا وزير المعارف بتشريف هذا الحفل كما تفضل بتوزيع الجوائز على الفائزين.

وقد دعى إلى هذه الحفلة كبار رجال المعارف ودار العلوم فحفل بهم النادى وكان الاجتماع مظهراً رائعا تجلت فيه معان سامية لتكريم العاملين وتشجيع المجدين وعرفان الجميل لمن أخلصوا فى سعيهم وجاهدوا فى سبيل العلم والتعليم.

وحين قاربت الساعة تمام الخامسة كان أبناء دار العلوم منبثين فى غرف النادى يرقبون قدوم معالى الوزير وكان رئيس جماعة دار العلوم وأعضاء مجلس إدارتها فى استقبال معاليه مغتبطين مرحبين فحيوا معاليه بتحية خالصة من أعماق قلوبهم رددتها ألسنتهم وتبعها هتاف جميع من كان فى النادى بحياة معالى الوزير وامتلأت قلوب أبناء دار العلوم سرورا وبدا على وجوههم الاستبشار وكان مظهرهم جميعا ينطق بوافر الشكر لمعالى الوزير على تلبية دعوتهم وتشريف ناديهم وهم يعدون هذا التفضل من معالى الوزير مظهرا رائعا من مظاهر عطف معاليه وعنايته بالتعليم ورجاله وحسن تقديره للعاملين المخلصين.

وقد جلس معاليه فى حجرة مكتب النادي يحف به كبار رجال المعارف وأبناء دار العلوم ودار حديث معاليه حول التعليم وشئونه فكان ذلك من أسطع الدلائل على أن معاليه يصرف كل اهتمامه وعنايته فى إصلاح التعليم وإحياء مشروعاته وتنظيم شئونه. على أن هذا الاهتمام ليس فى حاجة إلى دليل جديد فان لمعاليه من جليل المسعى والهمة الوثابة والتوفر الصادق على الإصلاح وانهاض الثقافة ماتشهد به آثاره التى لاتزال ماثلة فى عهوده المختلفة فى وزارة المعارف.

٭٭٭

ثم دعى معاليه إلى مائدة الشاى وصحبه حضرات المدعوين وكان السرور يعم الجميع والاغتباط يملأ قلوبهم.

وبعد تناول الشاى قام نجيب بك حتاتة رئيس جماعة دار العلوم وألقى الكلمة الآتية:

(كلمة نجيب بك حتاته)

حضرة صاحب المعالى، حضرات السادة، حضرات الإخوان،

أشكر لمعاليكم، ولحضرات الإخوان، تفضلكم باجابة دعوتنا، والاشتراك معنا فى الغرض الشريف، الذى من أجله اجتمعنا، وأحي إخواننا الذين ساهموا فى هذه الذكرى، وفاء بالعهد لأخ كريم، اختاره الله لجواره، وهو الرئيس السابق لهذه الجماعة، المرحوم الأستاذ أبو الفتح الفقى، فقد كان رحمه الله من المخاصين فى تأسيسها، والعاملين على إنهاضها.

والاعتراف بالعمل الصالح تشجيع للعاملين، وذكرى لمن فقدناهم من الإخوان المخلصين. لذلك أجمع أعضاء هذه الجماعة، على أن يشتركوا فى جمع مبلغ من المال، لتخليد ذكري الفقيد الكريم، واتفقت كلمتهم على

شراء خمسين سهماً من سهوم بنك مصر ، يكون ربحها السنوى جائزة للأول والثانى ، من المتخرجين فى دار العلوم ، فى كل عام .

وقد استحق هـــذه الجائزة الشابان النابهان : محمد غنيمى أحمد هلال أفندى ، وهاشم أحمد عشوب أفندى ، وهما الأول والثانى من المتخرجين فى سنة ١٩٤١ ، فنقدم اليهما أجمل تهنئة ، ونرجو الله أن يكون التوفيق حليفهما فى حياتهما العملية والعلمية ، كما كان حليفهما فى حياتهما الدراسية

ياصاحب المعالى

إن كانت الجوائز المالية ترتفع قيمتها بارتفاع مبلغها ، فإن تفضل معاليكم بتوزيعها على الفائزين شرف عظيم يرفع من قيمتها أضعافا مضاعفة ويحقق أسمى غرض منها ، وهذا خير وأجدى على التعليم ورجاله .

ويسرنى فى هذا المقام أن أنوه ببعض ما قامت به الجماعة فى نواح أدبية أخرى ، فان معاليكم لما شرعتم نظام السنة التوجيهية ووضعت الوزارة منهجها الذى حوى كثيرا من جديد الموضوعات سارعت الجماعة إلى علاج هذا المنهج مما كان له عظيم الأثر فى توجيه المدرسين وإرشادهم إلى مراجع البحث ليسلكوا بتلاميذهم أقوم السبل ويصلوا بهم إلى أسمى الغايات . وقد ظهر ذلك كله فى عددين من صحيفة هذه الجماعة .

كذلك ألقيت محاضرات فى الأدب ودراسته والانشاء وتعليمه فى المدارس الثانوية فكان هذا العمل خير حافز للمدرسين على البحث والدرس والتأليف فى اللغة فنمت بذلك الثروة العربية ونجحت دراسة المنهج الجديد نجاحا مشكوراً .

هذا إلى ما تنتجه صحيفة دار العلوم من مباحث فى شتى نواحى الثقافة العربية وفى طرق التربية والتعليم طول السنة بفضل النابهين من أبناء دار العلوم .

وأنى أرجو أن يوفقنا الله إلى خدمة التعليم فى عصركم الجديد الزاهى فى ظل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم

ثم ألقى الأستاذ محمود غنيم القصيدة الرائعة الآتية :

صوت المعلم

للأستاذ محمود غنيم

أقسمت ما الروض الخصيب يهفو به الغصن الرطيب

للأنف والعينين من أزهاره طيف وطيب

الطير تهتف فيه والـ ـغدران فى همس تجيب

والبدر لاح كغرة الـ ـمحبوب أخطأه الرقيب

بأحب من ناد يزيـ ـنه بطلعته نجيب

وافى الندى فكل جا رحة له صدر رحيب

وافى فما دقت لمقـ ـدمه الطبول بل القلوب

ناد حللت به وما أنت امرؤ عنه غريب

هو معقل الضاد الحصيـ ـن وأنت فارسها المهيب

هو مهبط الأدب الرفيـ ـع يزوره العلم الأديب

إن الأديب كما علمـ ـت لكل ذى أدب نسيب

«*»

تدرى الوزارة عن نجيـ ـب أنه رجل دءوب

يقظان لا يشكو اللغو ب ويشتكى منه اللغوب

كم هز عطفيها اسمه فكأنه نغم طروب

وحنت اليه مثلما يحنو إلى الحب الحبيب

إن غاب عنها فترة فله مناهج لا تغيب

كالشمس تترك خلفها شفقا إذا حان الغروب

إني أرى الآمال أخـ ـصب ربع واديها الجديب
وأرى العزائم كل عز م كالشهاب له شبوب
وأرى الوزارة كالعرو س يزينها ثوب قشيب
وأرى الحياة بكل مد رسـة يدب لها دبيب
روح سرى بين الجميـ ـع بمثله تحيا الشعوب

***

لمعلم الوادى رجا ء فى نجيب لا يخيب
لم لا وأنت بحقه فى كل آونة تهيب ؟
أنت المحامى عنه أنـ ـت لجرحه نعم الطبيب
أو ما تراه فى ربيـ ـع العمر يدركه المشيب ؟
خلق السهاد لجفنه ولوجهه خلق الشحوب
ولقد تمد إليه فى حرم الفصول يدا شعوب
فيخر فى ساح الجها د ولا ثواب ولا مثيب

***

هو فى الفصول ممثل آنا وآونة خطيب
وإذا ادلهم الليل والـ ـتقت المضاجع والجنوب
أمضى سواد الليل وهـ ـو لكل شاردة طلوب
وطغت عليه دفاتر كالسيل ليس لها نضوب
كيف السبيل إلى الكرى وأمامه منها كثيب ؟
إن المعلم خبزه بمداده القانى مشوب
يحمر فى يده المدا د كأنه بدم خضيب
إن قدروا مجهوده قالوا النجاح أو الرسوب
أو كان عيب فى النظا م ووضعه فهو المعيب

أو أذنب الطلاب عدَّ ت فى صحيفته الذنوب
وإذا تولى الامتحا ن يحوطه شك مريب
يرقى بنوه إلى العلا ورقيه أمل كذوب
سمحت براتبه خلو ف مالها أبدا ثقوب
سيق العجاف له وسيـ ق لغيره البقر الحلوب

٭٭٭

اطووا مناهجكم وخلو ا الكتب تخطئ أو تصيب
وسلوا المعلم أهو را ض حين يعمل أم غضوب ؟
نظم تحركها الريا ح كما يطيب لها الهبوب
تجرى الشمال بهن آ ونة وآونة جنوب
كيف التقدم والمعلـ م من إرادته سليب
عان يتوق إلى الوثو ب فلا يتاح له الوثوب
إن لم تطب نفس المعلـ م لم تجد شيئا يطيب

٭٭٭

عذرا بربك إن أثُرْ فالقلب من كمد يذوب
لا خير فيمن لا يثو ر على المظالم إذ تنوب
الثورة الكبرى نمتـ ك وأنت أنت لها ربيب
خلفى جيوش إن شكو ت فإننى عنهم أنوب
من يدع مثلك يا نجيـ ب دعا سميعا يستجيب
لا ينثنى عن رفع مظ لمة ولو أبت الحروب
أحلى الأمانى موقعا ما ساقه الزمن العصيب
مادمت أنت نصيرنا فالنصر موعده قريب

ثم قام الأستاذ محمد غنيمى أحمد هلال الفائز الأول فألقى الكلمة الآتية .

يا صاحب المعالى .

إن مآثركم على التعليم ورجاله عظيمة ، تشهد بها أنواع الإصلاح ، ومظاهر النشاط التى تتجلى فى وزارة المعارف حين تتسلمون مقاليدها ، وإلى هذا النشاط الذى هو نبع من قلبكم الوثاب ، وفيض من همتكم العالية ، تلك المساعى المشكورة التى لا يزال رجال التعليم عامة ، وأبناء دار العلوم خاصة يذكرونها فى تحسين حالهم وتوسيع ميادين الرقى أمامهم .

واليوم تسدون إلى دار العلوم وأبنائها مأثرة عظيمة بتشريف هذا الحفل الذى هو تحية وتشجيع لطليعة من طلائع دار العلوم ، فى طريقها إلى ميدان التربية التى جعلت غايتها فيه أن تبعث عالى المثل ، وتغرس سامى الفضائل ، فى نفوس الجيل الناشئ ، بما تعتصم به من الجد والدأب ، والإخلاص فى العمل والسعى الحثيث لخير هذا الوطن .

إن المعهد العتيد الذى غذانا بمعينه ، له فى أعناقنا أمانة ، فى إنهاض اللغة وتنشئة الجيل ، على قويم السجايا ، وكريم الخلال ، مستمدين العون من الله القدير مقتدين بهمة معالى الوزير ، مترسمين خطاه فى الإصلاح ، فيما يسدى لرفعة هذا الوطن وأبنائه .

وإن هذا الحفل ليقف الشباب فى مستهل حياتهم الجديدة أمام ذكرى مجيدة لراحل كريم ، أمام مثل عال للعلم والخلق والكرامة . أمام روح أستاذنا أبى الفتح ، أسبغ الله عليه الرضوان فى فسيح الجنان .

ياصاحب المعالى :

إنا إذا اغتبطنا بهذه الجوائز ، وعددناها رمزا لما بذلنا من الجهد فى الدرس ، فإن اغتباطنا بأن نتسلمها من يدكم الكريمة أجل وأسمى .

أدام الله توفيقكم فى مشروعاتكم التى تبغون بها وجه الله ورقى البلاد فى ظل مليكنا المفدى فاروق الأول حفظه الله .

وبعد أن انتهت الحفلة طاف معالى الوزير بغرف النادى وزار غرفة المكتبة وفيها قسم عرضت فيه مؤلفات أبناء دار العلوم وما أخرجوا من كتب فى اللغة والأدب والتربية وألوان الثقافة فكان هذا القسم موضع عناية معاليه ومحل تقديره فتفضل بتصفح بعض هذه المؤلفات . وإن الجماعة لترى فى هذه الرعاية وهذا التقدير أعظم باعث على مضاعفة الهمة فى إنتاجها العلمى وخدمتها للتربية وللثقافة وتشكر لمعالى الوزير عطفه وتفضله.

ثم غادر معاليه النادى مودعا بأبلغ آيات الشكر وأسمى مظاهر الإجلال

***

وقد انتهز مجلس الإدارة لجماعة دار العلوم الفرصة بعد ذلك فزار وفد من أعضائه معالى الوزير فى مكتبه بالوزارة شاكرين لمعاليه تفضله بزيارة ناديهم فلقوا من معاليه من النبل وحسن اللقاء مايدعو إلى اغتباط أبناء دار العلوم ودعائهم لمعالى الوزير بدوام التوفيق فى خدمة التعليم.

فى اللغـــــة العامية[1]

للأستاذ عبد الرزاق حميدة

— ١ —

اللغة العامية هى اللغة التى يتكلمها عامة الناس فى بلد من البلاد أو جهة من الجهات يستعملونها للتعبير عن أغراضهم العـامة اليومية ويتفاهمون بها فيما بينهم تفاهما سريعا فى حديثهم وقضاء مآربهم البسيطة الساذجة .

وهى مختلفة اختلافا قليلا أو كثيراً عمـا يسمى اصطلاحا لغة الـكتابة أو اللغة الفصيحة أو اللغة الأدبية . وذلك الاختلاف أمر طبيعى ، فلغة الـكتابة أو الفصيحة خاصة بالأدباء والمتعلمين من رجال اللغة ، وهى التى تودع بطون الـكتب . وهى الدليل على ثقافة صاحبها ومبلغه من العلم ، لهذا يحرص عليها المتعلمون — فى كتابتهم على الأقل - وقد يتكلفونها تكلفا ، ليمتازوا بها من غيرهم ، ولتكون فارقا بينهم وبين الجهال الذين لا يعرفون إلا العامية وسيلة للترجمة عما فى أنفسهم من أشياء ومايحسون به من محسات .

ولما كانت العامية لسان الـكثرة الغالبة من أبناء اللغة ، وفيهم العالى الثقافة الواسـع الأفق ، وفيهم الجاهل المحدود التفـكير ؛ ومنهم السـاذج السطحى النظرة ، والمتوسط الذكاء ، والقليل الحاجة إلى الألفاظ لقلة مطالبه ، كانت

---

(١) يلاحظ أنى اقتصرت فى الأمثلة والشواهد اعتمادا على ذكاء القارئ وسعة تجاربه وليس من الصعب على القراء الكرام أن يجدوا هذه الأمثلة المؤيدة لما أقول من معلوماتهم الخاصة ، ومما صادفوه فى حياتهم من نماذج وشواهد ؟

عبد الرزاق

ألفاظها أقل عددا . وكانت تراكيبها ، والخيال فى تشبيهاتها واستعاراتها ، أقرب إلى البساطة . وأدنى إلى الفطرة .

أما الفصيحة فهى لغة الأدب والعلم . ورجال الأدب والعلم قليلون فى كل أمة ، ولكن حاجتهم إلى الألفاظ والتراكيب للتعبير عن خيالهم الخصب ، وتفكيرهم العميق وأبحاثهم الواسعة الآفاق ، وعلومهم المتعددة الأسماء والأبحاث ، حاجة قوية ، لهذا كانت الفصيحة ، على قلة من يؤثرونها من أبناء اللغة – أوسع ألفاظا وأعمق نظرة ، وأخصب خيالا ، وأدق تعبيراً .

والعامية – كالفصيحة – ليست واحدة بين أهل اللغة الواحدة ، خصوصا إذا هاجرت هذه اللغة من موطن إلى موطن ، وانتشرت بين أجناس متعددة وشاعت فى أقاليم متباعدة ، كالعربية التى نشأت فى الجزيرة . ثم ارتحلت مع مع الإسلام إلى العراق وفارس والشام ومصر والسودان والمغرب فطغت على غيرها طغيانا يختلف فى قوته ، ولكنه طغيان جرف أمامه ما كان قبلها من لغات . فلم يبق منها إلا آثار قليلة لاقيمة لها . ومع قوة هذه العربية المؤيدة بالدين الإسلامى ، فإنا نجد أثرها فى العامية فى تلك الأصقاع خاضعاً لسلطان البيئة وعوامل الاجتماع ، فهى فى مصر غيرها فى الشام ؛ وفى العراق غيرها فى الجزيرة العربية نفسها . تبعاً لاختلاف من يخالط أهل هذه البلاد . ومايرونه فى بلادهم من حيوان أو نبات . أو تقتضيه مطالب العيش من إقامة أو ارتحال ، وتبعا لاختلاف طبيعة الأفراد باختلاف الأقاليم ، مما يؤدى إلى الاختلاف فى طريقة النطق وفى كيفية الأداء . وإن اتحدت الألفاظ . ومما يؤدى إلى الاختلاف فى مآخذ التشبيه ومنابع الحكم والأمثال فى عامية هذه الأقاليم .

وليس هذا التباعد ناشئا من تعدد الأقاليم وحده ، ولكنه موجود فى الإقليم الواحد سواء تباعدت أجزاؤه أو تقاربت . فالعامية فى بلادنا مثلا

تختلف من بلد إلى بلد. ومن مديرية إلى مديرية. تختلف فى كيفية الأداء كقول سكان الوجه القبلى « مِحَمّد » وأهل القاهرة « مَحَمَّد » ونطق « خزرانة » و « خرزانة »، وزغرد، وزغرت. وفى اللفظ المستعمل لمدلول واحد، فبورسعيد تسمى النيكلة « صولدى » والاسكندرية تسمى التعريفة قرشا، وتسمى الجلابية قفطانا، « والإكحل » فى قناهو الحبر. والقوطة فى القاهرة هى الطماطم. « والزلمات » فى الشام هم الرجال.

وإذا كانت الفتاة السمينة تشبه « بجدر جميزة » وإذا شبهوا شَعرها فى فى أشعارهم بأنه :

. . . . يغطى المتن أسود فاحم   أثيث كقنو النخلة المتعثكل

فإن بعض أهل القاهرة وبخاصة الذين من أصل تركى يشبهونه بأسلاك الذهب. وليس ذلك بعجب فالبيئة التى ينتزع منها التشبيه فى أكثر الأحيان مختلفة والحضارة فيها مختلفة كذلك. ومن هنا رأينا الاختلاف فى التشبيه بين جزيرة العرب فى الجاهلية وبين تشبيه المصريين فى القرن العشرين.

- ٢ -

وهجرة اللغات أمر طبيعى، واختلاف اللغات العامية التى من أصل واحد طبيعى كذلك فإذا أمكن أن نتصور لغة ما فى بقاع الأرض لا يزيد أهلها ولا ينقصون فى هذه البقعة، ولا يرون جنسا آخر من الناس استطعنا أن نتصور عاميتهم محدودة، ولغتهم جامدة، كما يقال عن سكان استراليا الأصليين الذين لا تزيد عاميتهم على عشرات الكلمات.

ولكن الحال غير هذا فى معظم اللغات حتى لغة سكان استراليا الأصليين بعد احتلال الانجليز بلادهم فى القرن الثامن عشر. فالناس قد عرفوا الهجرة من أقدم العصور، واللغات قد عرفت الهجرة كذلك فنزحت مع النازحين الذين ضاقت بهم بلادهم فهجروها، أو اضطرتهم طبيعة الأقاليم ومطالب

الحياة إلى الارتحال رغبة فى الغنى ، أو للتجارة ، أو للكشف الجغرافى .

فإذا استقر هؤلاء النازحون استقرت معهم لغتهم على حال من القوة تعادل حالهم منها ، فإذا كانوا سادة فاتحين كانت لغتهم سيدة مستعملة ، وشاع الكثير منها فى لغة البلاد كما حدث فى الاستعمار الهولندى لأمريكا ، والإنجليزى للهند ولأستراليا ، والفرنسى لكندا وبلاد المغرب . وإذا طغت هذه اللغة على لغة السكان الأصليين فأبادتها كما حدث فى لغة الإنجليز مع سكان استراليا الأصليين ، فإن البيئة الجديدة لا تترك اللغة المهاجرة سليمة من التغيير ، بل تؤثر فيها فتدخل ألفاظ جديدة لمسميات جديدة ، وقد تنشأ عامية فى هذه البلاد للفاتحين تمت إلى أصل إنجليزى ، ولكنها لا تمت إلى إقليم بعينه من أقاليم الجزر البريطانية فى الجملة ، بسبب اختلاف الأقاليم التى تجمع منها هؤلاء النازحون .

وإذا رجعنا إلى عاميتنا فى مصر وبخاصة ما يرجع من ألفاظها إلى وهاد الجزيرة العربية ونجادها . وجدناه يرجع إلى أماكن مختلفة فى الجزيرة ، ثم تكونت لنا منه عامية كان يمكن أن تتوحد لولا ما يعوق ذلك من بعد المسافة بين أجزاء البلاد . وما يحتاج إليه فى كل جزء ، واختلاف المدلولات نوعا ما مما يؤدى إلى اختلاف الألفاظ . ومن اختلاف الأجناس التى تتصل بالعامية فى الأجزاء المختلفة من القطر . فالصعيد الأقصى قريب من السودان وشمال الدلتا قريب من الشام والترك مثلا ، وذلك يجعل عامية أهل قنا وأسوان قليلة الألفاظ التركية بعكس عامية القاهرة والإسكندرية .

وقد يكون اختلاف العامية ناشئا من الكسل فى النطق أو كثرة دوران الكلمات أو الرغبة فى الاقتصاد فى الألفاظ ، وما الترخيم إلا نوع من الكسل وما زال ذلك الترخيم فى النداء معروفا عند بعض المصريين فينادون أمين بقولهم « يا أمى » وحسن بقولهم « حسا » وقد يكون فى غير النداء ،

فالـعىْ ، والـبيْـ ، والبلاَ الاَحمـا » فى بنى سويف هو « العيش والبيض والبلح الأحمر » فى القاهرة .

وقد يكون الاختلاف فى نطق العامية لا فى ألفاظها ، بل قد يختلف نطق الشخص الواحد لكلمة أو عبارة باختلاف الحالات النفسية التى تسيطر عليه عند النطق فهو فى الحزن ذو لهجة تختلف عنه فى الفرح ، وفى الجدل غير فى الخطابة ، والفصيح مثل العامى فى هذا . فالألفاظ واحدة عندما يقول القائل « ده معقول » ولكن النطق يختلف فى نطقها للاستفهام عنه فى نطقها للأخبار . ويظهر هذا الاختلاف فى الضغط على بعض الحروف ورفع الصوت فى مكان وخفضه فى آخر ، وفى مد حرف وخطف آخر .

والثورات أو النهضات الاجتماعية أو الثقافية تؤثر فى اللغة العامية فتدخل فيها ألفاظا جديدة ، أو تشيع كلمات كانت غير موجودة أو كانت قليلة الاستعمال بأن كانت من لغة الخواص مثلا . وترقى ببعض الألفاظ بعد أن كانت مهينة وهكذا .

وللعادات الاجتماعية أثر فى تخصيص بعض الألفاظ ، فقد نسمع لفظا من رجل فلا نسيغه لأنه من لغة الأطفال أو لأنه جدير بالنساء . ولنضرب لذلك مثلا ألفاظ التحية فى بلادنا . فتحية النساء بينهن وحدهن ، أو بينهن وبين الرجال هى : سعيدة ، أو العوافى ، أو مساء الخير ، أو تصبحوا على خير . وتحية المسلمين بينهم هى السلام وحده أو متبوعا بلفظ مما سبق يلقى إلى فرد من الذين يسلم عليهم : السلام عليكم : سعيدة يافلان . وأذكر أن عهداً من العهود كان يجمعنا بكثير من الفتيات ، وكنا جماعة من الرجال تؤثر السلام تحية » حتى إلى النساء . فسرت هذه التحية منا إليهن حتى أصبحن يتبادلنها بينهن قبل تبادل القبلات .

وهناك عامية خاصة بأرباب المهنة الواحدة ، وهى مايسمى « السيم » أو

اللغة الرمزية . كقول عمال القهاوى : ع الريحة أو مظبوط .

— ٣ —

وليست عامية القرى واحدة فى قوتها وشيوعها واحترامها . فعامية المدن أكثر احتراما وشيوعا ، وعامية الريف لاعيب فيها إذا كانت فى دائرة من يتفاهمون بها ، فإذا خرج هؤلاء من بلادهم إلى المدن تضاءلوا وحاولوا أن يكتسبوا مايخالف ألفاظهم هناك كى لايكونوا أقل حضارة أورقيا. وقديكون السبب مافى عاميتهم من جفاوة وغلاظة وبعد عن مألوف أهل الحضر.

على أن من أهل الصعيد من يرى - وهو فى القاهرة — أن التنكر للهجته كالتنكر لدينه ، فيأبى أن يهجر «الجلم ، والجاموس ، والجلة» القلم والقاموس والقلة .

ويغلب ذلك فى الذين يرحلون إلى الحواضر كبارا ، والذين تقل الصلة بينهم وبين أبناء الحواضر الأصليين ، ولايكون اختلاطهم إلا بأشباههم كطوائف العمال مثلا .

والذى يجعل عامية المدن أشيع،هو ما للمدن من احترام فى نفوس الناس، لما يظنونه بأهلها من رقى ورقة إحساس وسمو أذواق بسبب مجاورتهم للحكام واختلاطهم بأخلاط مختلفة من أهل المملكة أو الممالك الأخرى . ولتوافر العيش الرغيد فى المدن ومايتبع ذلك من حسن فى البناء والأزياء ونظام فى الشوارع والطرقات . ومايسمع فى حديثهم من دلال ونعومة ورقة .

وهناك عامية لاتختص بمكان وهى عامية المتعلمين . فهؤلاء يختارون ألفاظهم وأساليبهم العامية،إما من الفصيح المحرف قليلا،أومن عامية الحاضرة. ولذلك نراهم يستطيعون التفاهم فيما بينهم وإن بعدت منابتهم واختلف منشؤهم، فالموظف من أهل أسوان فى ديوان من دواوين القاهرة يفهم زميله القاهرى والمنياوى ولايقل التفاهم بينهم إلا إذا انتقل الحديث إلى موضوع إقليمى

يجيد ألفاظه ويفهم أساليبه الأسوانى أو المنياوى، وقد لا يفهمه القاهرى.

وإذا كان التعليم قد قرب العامية بين المتعلمين، فالمخترعات الحديثة قد قربت العامية كذلك فى القطر الواحد أو الأقطار التى تتكلم لغة واحدة وأعنى بها تلك المخترعات التى تنقل الحديث من مكان إلى مكان ويقبل الناس على سماعها لشىء آخر وراء ألفاظها كأن تكون مسلية مثل السينما والمذياع والأسطوانات الغنائية ومجلات الفكاهات أو المجلات السياسية والاجتماعية التى تكتب بلغة عامية. والشبان والسيدات أكثر تأثرا بهذا النوع من الشيوخ.

أما تعليم البنت بوجه خاص فله أثر كبير فى التقريب بين العامية فى الجهات المختلفة وفى قربها من الفصيحة، وذلك لأن الأم المتعلمة تؤثر الفصيحة بطبيعتها أو تؤثر عامية الحضر، وهى ذات تأثير كبير فى أولادها يقلدونها فى حديثها وينقلون عنها ألفاظها وطريقة أدائها. وهى كما قدمنا متأثرة بعلمها فتكون لغة أولادها كذلك. والتعليم الإلزامى ذو أثر كبير فى شيوع عامية متقاربة فى البلاد المختلفة من القطر، وفى رقى هذه اللغة كذلك، إذ أن موضوعات هذا التعليم متقاربة وألفاظها موحدة. والأطفال الذين يتلقون هذا النوع من التعليم عن أساتذة من جهات مختلفة يكتسبون ألفاظا وتراكيب عامة لا تقتصر على مداولات بيئتهم.

— ٤ —

ولا شك أن شيوع عامية واحدة فى القطر الواحد أمر ضرورى. وليس هناك ما يمنع من وجود عامية إقليمية بجانبها. فوجود لغة عامية واحدة يساعد كثيرا على تسهيل عمل المدرسين. فهؤلاء أو أكثرهم يجدون من الصعب استخدام اللغة الفصيحة؛ إما لعجزهم عنها، أو لعجز تلاميذهم عن فهمها. ولا بد فى هذه العامية أن تكون سهلة واضحة الألفاظ رقيقة المخارج غير نابية عن السمع ليكون تأثيرها أقوى. والإفهام بها أتم.

وهناك المصالح المرتبطة بين أهل البلاد على بعد ديارهم خصوصا بعد أن قربت السيارات والقطر والطيارات مسافة البعد. وأصحاب هذه المصالح مضطرون إلى تبادل الحديث أكثر مما كان فى الزمن القديم؛ فلا بد من وجود لغة عامية أشبه بلغة المتعلمين ليستطيع بعضهم أن يُفهم وأن يَفهم. وإلا كان الاقتصار على العامية الإقليمية مؤديا إلى صعوبة قضاء هذه المصالح. فاذا تقدم تاجر من إسنا أو طهطا مثلا إلى زميل له فى الإسكندرية أو القاهرة وحدثه بلغة إسنا وحدها فقد يصعب التفاهم فلا بد لهذا الإسنوى من إصلاح عاميته وتقريبها من عامية القاهرة كى يستطيع قضاء مآربه. وإذا جاء تاجر زكائب من الريف ليشترى عددا منها من القاهرة وسأل عن المكان الذى يجد هذه « التلاليس — جمع تليسة » فقد يرجع بخفى حنين من القاهرة لا بالزكائب التى جاء من أجلها.

وفى المسرح يحتاج الممثل إلى عامية ممتازة يعترف بها السامعون. ويخضعون لسلطانها ويؤمنون بمعرفتها: اللهم إذا كان دوره فى الرواية محتاجا إلى عامية إقليمية كأن يقوم بدور خادم نوبى أو عامل صعيدى، وهنا لا حرج عليه أن يمثل بلغة واحد من هذين.

ورجال الوعظ ورجال السياسة محتاجون إلى هذه العامية العالية التى تفهم فى أنحاء البلاد. فلا بد للوعاظ بجانب الفصيحة من عامية راقية يستعينون بها على أداء رسالتهم بين المستمعين أينما حلوا وحيثما انتقلوا، ورجال السياسة كذلك محتاجون إليها حينما يبشرون بمبدأ ينتقلون من أجله فى أنحاء البلاد.

— ٥ —

والعامية فى بلادنا ذات أصول متعددة، وإن كانت أكثر ألفاظها من العربى الفصيح. فعندنا منها القبطى القديم مثل بعبع. ومنها الفارسى كالبالوظه والياسمين ومنها التركى كاليشمك والأودة والبمبة. ومنها الفرنسى كالشيزلونج

والشمزت ومنها الإنجليزى مثل الجريب فروت والكيك . غير أن العامية الشائعة فى القرى وبين الأعراب الضاربين فى الصحراء أكثرها من أصل عربى دخله التحريف فى النطق أو فى قواعد الإعراب

ولهذه العامية الشائعة عندنا بلاغة وفيها حكم وأمثال جديرة بالتخليد . كقولهم: كشكار دايم ,ولا علامة مقطوعة . وقولهم : القرش الأبيض ينفع فى اليوم الأسود . وقولهم: كل طير يلوذ بإلفه .

ولها قواعد منظمة فالحاء أو الهاء هى حرف الاستقبال مثل «أناح اكتب» أو « ها كتب » وما و « الشين هما حرفا النفى مثل « ما لكش دعوة » « ما عليكش عيب » . وكثيرا ما تخرج ألفاظها عن معناها أو تراكيبها عن الوضع الأصلى لها كالفصيحة فان « اعمل اللى يعجبك » قد يكون معناها التهديد . وكذلك « تقدر تزورنى بكره » قد يكون معناها الالتماس. وأمثال هذا كثير مما لا يخفى على القارئ اللبيب .

وبعد فهذه كلمة مختصرة عن اللغة العامية قد تشترك معها فيها اللغة الفصيحة وقد تنطبق على عاميتنا كما تنطبق على عامية الأمم الأخرى. وأرجو أن تكون على قصرها جامعة ، وأن يغفر لى قارئها ما يرى فيها من نقص أو عيب والله ولى التوفيق ؟

عبد الرازق حميده

هـل أعود ؟ !

للأستاذ خلف القاضى

كنت والليل والقمر والفلك والنهر ...

وكنت والعشب فى الجنة ، بين الفاكهة والزهر ...

كنت والرفاق ، نبهر سهام النور تتلاقى لتفترق ،ونتعاشق لتبتعد ...

وكنت والصياد — فى منطقة الرهو — يخرج الشبكة ، باسما إذا أقبل الحظ ، عابساً إن جفاه السعد ...

كنت فى الكوخ ، أناجى نار المجوس ، تشعلها عاتكة . فى العراء ، وهى تخبو وتسطع ، والرياح تتناوح ...

وكنت مع الأضواء المنبعثة ، من الشاطئ البعيد ، فى المرقص الجديد ، أتابع ... خطاهم

كنت أردد الشدو ، مع الفتيان ، الذين عشقوا الرياضة ، فلاح شراعهم فى الليل ؛ وراء الجسر يجرى ، تحت همسات النجوم ...

وكنت مع صرعى « كيوبيد » الذين ضاقت بحبهم رحاب الأرض ، فطاروا بسعادتهم ، ليشهدوا عرائس البحر ..

كنت مع المترفين ، الذين فتنهم النيل ، فأخلدوا إليه ، واتخذوا داراتهم فوق أديمه ، ليسمعوا منه اللحن الأبدى المقدس ...

وكنت مع الخلد ، أسمع حديث الشجرات ، وأصغى إلى قصة الزارعين وجهد العاملين ، فى غبطة واهتمام ...

كنت مع الملاحين ، الذين اشتدت بهم الريح ، وانحرف عنهم التيار ،

أنتظر — مشفقا — ختام المعركة ، بين القوى الثلاث ...

وكنت مع البائسين ، الذين أضناهم المرض ، وغيرتهم الأسقام ، أصاحبهم فى غرفهم المنعزلة ، ودموعهم المنسكبة ...

كنت أرثى لأنينهم ، وأشفق على حنينهم ، فأبسط راحتى ، إلى السماء ، ألتمس العزاء ..

وكنت مع الحسان اللاتى وقفن حياتهن ، للبذل والحنان : للغريب والوحيد ، حتى أذواهن السهر والانتظار ، فأغمضن جفونهن من التعب ، وهن حالمات بالنداء ...

كنت فى جزيرة (١) ، خلف سور ، هجرها النهر فى غيضه ، فاستنبتها ربها واستوطنها ، بعيداً عن صخب المدينة ، حيث لا يعرف عبد أو أمير .

أى صديق ! .. الذى منحه « حابى » نعمة وبركة — لا تأسف إذا استرد النيل هبته ، أيام الفيض ، فانه سيهديها اليك بعد ، خصبة ، غنية بعناصر النماء ...

وأنت أيها المصيف ، الذى خلا من النافذة والباب ، وغنى بالخص ، عن ستائر الديباج ...

أيها المغنى الذى سلبته الحياة قوة المناعة والدفاع ، فاستغنى بجماله ، عن الحصون والقلاع ...

أترانى أعود اليك ، فأستريح على ثراك الندى ، وأستروح نسيمك الشذى وأستمتع بالنظر الأنيق ، وأسعد بالمقام فيك ، فى ظلال السلام ، ونعيم الحرية والاستقلال ؟ ...

أم تطغى أمواج الحرب عليك ، فتطمس معالمك ، وتحيل مباهجك ، وتصبح ذكرى ؟ ! ... ويقول زوارك : لقد كان هنا مغنى ومصيف !

---

(١) جزيرة المنيل تحت القمر

بل تبقى أنت لتشهد وجوها جديدة ، وتسمع ألسنة غريبة ! ! وتذكر الرواد فلا مجيب ؛ وتتفقد السمار ، فلا سميع إلا رجع الصدى !!!

فهل أعود ؟ ! ...

أيها الأمين على سرى ، الحافظ لوعدى ! سلاماً ! .

أيها القمر المطل من سمائه مستحياً ! أماناً ! .

فلن أسمع فى لياليك صفيراً ، ولا فى سرارك أزيزاً ...

سأرتحل إلى الجنوب ، وحدى . . .
وأنعم بضوئك الفضى ، وحدى . . .
وأهنأ بالنوم تحت عينيك ، وحدى . .
وأشهد إذا ما غبت بالليل وحدى . . .
فهل أعود ؟ ...

لا تأس أيها القمر ، على لياليك ، التى ضيعتها نذر الحرب ، على عشاق الليالى . . . ! ! !

فلن تسمع منى — أيها الشريد الحبيب — مقالة العربى فيك :
« أضيع من القمر فى ليالى الشتاء » .

سأناجيك — سأناغيك ، وحدى .
سأنتظر هلالك ، وأرتقب بدرك وحدى
سأساير موكبك ، حتى الأفول . . .
ولكن ، هل أقوى على وداعك ؛ وحدى

متى ياصحابى ... متى أعود ؟ . ؟

خلف القاضى

على خزان أسوان

لحضرة الأستاذ أحمد محمد الحوفى

أشرقت الشمس هادئة فاترة، ورخا الجو وندى كأنه أنفاس الربيع المتعطرة، واتجه بنا الزورق السبوح إلى الخزان، يغدو ويروح، آنا يقذفه التيار كما يقذف الكرة لاعب بارع، وحينا يخفق شراعه الهواء فيرجحن، والموج يصفقه فيتناثر منه رذاذ يندى وجوهنا كنسمة فى بكرة ماطرة، والسفن تتراءى فى الأفق كنعام بيض رفعت كل منها جناحها، وهناك رمال دمثة تذهب التلال والربا، وتعاريج الريح وآثار الأقدام توشيها باللحم والسدى.

وفى سفح التل شجيرات تنتثر، تتهدل أفنانها إلى النهر الريان، ظمأى إلى عذوبته، حرى إلى لجته.

ووجه الماء يضحى للشمس فيترقرق سناه. ويصفقه النسيم العجلان فيرتعش، ويتجعد ويتكسر، كسطور فى رق منشور، تروى أحاديث العصور تومض الآراد فى أثنائها، وتتصافح الأشعة فى أحنائها، تبترد فى عذوبة سلسالها.

وهذا هو الخزان...

الخزان العظيم المضطجع فى جوف الصحراء عن شرقيه وعن غربيه.

إنه السد المنيع الذى يعترض الماء الدافق فيصده، ويحتجز النيل الهادر ويرده.

هيكل فى اللجة راقد، يدفع الصحراء الآكلة عن معبود الفراعنة، يذودها بيديه وقدميه،

يقظان للشمس ، أرقان مع النجم ، لا الكلال يعتريه ، ولا سافيات الرمال تؤذيه ، ولا هجمات الأمواج تبليه . ينبثق من فتحاته الماء فى قوة المدفع ، وهزيم الرعد ، وأعجب كيف لا يزلزل الأرض .

ينفجر من عيونه السيل مبيضا من شدة الضغط ، وقوة الدفع ، ناصعا كأنه قناطير من قطن مندوف ؛ أو عهن أبيض منفوش ، أو أكداس من ريش منتوف ؛ أو كأنما هو رغوة من الصابون تطهر بها ملائكة السماء آثام الأرض .

ما أجمله فى رغوته !

ما أروع أقواس قزح على جبهته !!

قد رسمتها أشعة الشمس المنكسرة على قطيرات الماء المتناثرة

أهبطت السماء بقوسها إلى الأرض ؟

أم هذه ألاعيب جن ، وتهاويل فن ؟

أم تلك أكاليل من ألوان الأزهار ضفرتها مصر على مفرق كل عين ؟؟

أم هى رمز إلى النبات المختلفة ألوانه ، أرواه الخزان من مائه ، وأنبته النيل فى صحرائه ؟

ماء لا لون له ، وماء فيه زرقة ، وماء معتكر ، وماء فى صفاء الفل ،وكله يتمازج بين أيدى الفتحات فى مجرى رحيب كله صخور وَدْهَاء .

وللماء الراعد موسيقى ، فيها قوة وفيها ترنيم

قوية ولكنها لينة فى الأذن .

عالية ولكنها لا تزعج .

على نغم رتيب بيد أنها لا تُسْأَم .

هى ضجيج المعركة الدائرة بين القيد والحرية ، بين القوة والقوة ، بين السد والسيل .

أو هى قهقهة الماء الزاخر الظافر فى الملحمة .

أو هى طبول يقعقع عليها السد فى سمع الوادى كله ، إيذانا بأن الحياة تدب فى أوصاله .

من عيونك ياسد يتدفق الحِباء والثراء ، والبركة والنماء ، والرفاهة والإخصاب .

ومنك يسرى هـذا الروح الطيب الذى يخضل الوادى بجميل النبت ، ونضير الزهر ، ويفوف حفا فى النهر بطريف الزرع ولذيذ الثمر .

رفعت مصر سـمكك لتنظم مهجتها ، فتأمن الشظف فاذا فاض النهر واجترف . أطلقت سدودك . وفكت قيودك لتأمن الغرق .

فى رحابك جمال وجلال وسمر .

ما أحيلى القمراء فى موسيقاك ، حيث توحى الطبيعة وتهدر أنت كأنما تصلصل للوحى ..

يخلو اليك الأجانب فى الأصائل والأسحار ، وبنو النيل فى غفلة عنك لا يقصدونك ، وإن رأوك عرضا لا يفقهونك ولا يستهلمونك .

أنت ياسد أسوان معجزة الحياة فى أحضان الموت

أنت يا سد أسوان إبداع وقدرة

وأنت شهادة لهذا الإنسان بالقوة .

وأنت فيض من النماء والخير والحياة يغمر وادى النيل

أنت تزكية لعقل الإنسان ، وأعجوبة فنية فى هذا الزمان .

انت فن وبراعة وقوة وصبر .

ثم أنت فى النيل كالصمام من القلب .

***

هذا الخزان ينطق بعظمتك يانيل .

أنت فى مصر معين الحياة ، وأنت فى سرحتها سر النواة .

تفجرت فى الصحراء الجدباء ترعا وجداول وقنوات ورواضع تبرد الظماء من الأناسى والأرضين والحيوان والنبات .

من ينكر أن مصر هبة منك من ينكر ؟ .

على عبريك نشأت المدن والقرى ، ومن فيضك أثرى الفراعين؛ وتفيئوا بظلال القرار ، ففكروا ، وأنشئوا ، وعمروا ، وسبقوا العالم كله بحضارة ما فتئت أعجوبة العجب ، ومفخرتنا نحن وراث الفراعنة والعرب ، ليت الفخر بالآباء يحفزنا إلى الجد والطلب والغلب .

تمثت حمياك فى قلوب الأولين فعبدوك ، واحتفوا بوفائك ، وجعلوه عيدا يهزجون فيه بأهازيج البهجة ، وينشدون أناشيد الترحيب والغبطة وتقدير الجميل .

فى كوثرك راح يجذب الناهلين منك إلى القرار بواديك يوفون لك فلا يريمون عنك ، ومن حرم السقيا منك حينا غلبه الحنين إليك فتتمثل له فيتلمظ على الوهم ، ويتذوق على الخيال ، ومايزال يحن اليك ويتشوق حتى يبرد شفته الظمآى من بَرُودك ، ويطعم من جنى خيراتك وجودك .

أنت فى الصحراء العبوس كالبسمة فى دجنات الكدر ، وحياة وجمال ترف بين هذا الصخر .

شهدت قيام الدولات وصراع الأمم ، وصفوت للأقوياء من أبنائك وكدرت للغزاة من أعدائك ، ونهضتْ على شطآنِك حضارات على أنقاض حضارات ، فما تحيّف ذلك من كبريائك ، ولا تنقص من ثرائك وسخائك

لاذ إبراهيم بذراك ، وخطر يوسف بين رباك ،واستاف موسى من رياك وسبحت مريم وعيسى على تحنانك ، وأصهر محمد إلى قطانك .

ياله من نخر ، ويالك من نهر ، تبارك من أجراك !

بهرت الأسطورة نخالت أنك من الجنة تنبع ، تجرى إلى الكادحين الصابرين تحمل المثوبة ماء ينقع ، وجنى يسمن ويشبع ، وجمالا يخضو به الوادى ، ويعشوشب الشاطئ ، وموجا يحدر الفلك ، ونسيما رخيا ، ولحما طريا ، وحضارة عرست على شطيك وشقشق من سناها فجر العالم .

خيرات وهبات هن إلى السماء أليق وألبق .

يا باهر الأساطير ، جل من سواك !

لكأنى بكل قطرة من نطافك العذاب تهتف اليوم :

لا تقربوا النيل ما لم تعملوا عملا

فماؤه العذب لم يخلق لكسلان

أحمد محمد الحوفى

المدرس بالأميرة فوقية الثانوية

«حلم جميل»

«أو ليلة من ليالى القصور»

للأستاذ عبد العزيز محمد خليل

---

(١) هذه الرواية عربية فى مناظرها وأزيائها لأن المؤلف تخيل وقائعها فى عصر هرون الرشيد.

(٢) وقد اختيرت لتكون خاتمة الحفلة التى أقيمت بدار الأوبرا الملكية ١ / ٥ / ٤٢ ابتهاجا بعيد جلوس مولانا جلالة الملك فاروق الأول

المنظر الأول : يرفع الستار عن :

ليلى وصيفة الملكة، أمام المخدع جالسة مطرقة حزينة. سمراء وصيفة أخرى تدخل عليها

— ويل ليلى، ويل ليلى! أشرقت شمس الضحا، وهى تغط فى النوم غطيطا، أليست وصيفة الملكة؟ ورئيسة الحشم؟ ثم تتقدم خطوات، وتقول همسا :

ولكن : ما لسيدتى زبيدة، لم تطل علينا من نافذة مخدعها مبكرة كسابق عهدها؟ تقطرنا بماء الورد، وتنثر علينا من علبتها الذهبية الطيوب والحلوى.

وتتقدم إلى ليلى توقظها وتقول :

مسكينة أنت ياليلى استيقظت مبكرة فغلبك النوم، وأنساك أمر مولاتك! وتوقظها ليلى — ليلى...

— سمراء. سمراء. دعينى. فليس للنوم من سبيل إلى عينى، ولكنى مشغولة عن نفسى، بأمر سيدتى زبيدة

— يالله — بأبى وأمى، سيدتى وأنت.

ياله من حلم مروع . أزعج الملكة ، فهبت من لذيذ رقادها حائرة مذعورة واستدعت لوقتها الخادم مسرورا يفسر لها الرؤيا ، فلم يجد إلى حلها سبيلا ، وها هي ذى مكتئبة حزينة ، لم يداعب النوم جفنيها منذ حين .

لا عليك يا عزيزتى ، وقرى عينا ، فأنا كفيلة بتفسير الرؤيا . لأنى أقرأ الكف . وأعرف البخت ، وأفسر الاحلام .

حتى أنت ياسمراء !! أيعجز الأسمر ، وتفلح سمراء ! ، كفى كفى ، فليس للهذر أمام أبواب الملوك مجال .

ليلى ، ليلى ، أما سمعت قول شاعرنا بالامس :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وأين أنت ياسمراء من تفسير الأحلام ؟ — ما لهذا الحلم إلا ابن سيرين

وأنا .. بنت سيرين . والبنت أحسن أحيانا من الولد — قصى على الرؤيا . ولا تجزعى ياصديقتى . وسأكون عند حسن ظنك بى .

رأت سيدتى فى المنام ، كأن سربا من الحمائم البيض . هبطن إلى ساحة القصر ، فأخذن يلقطن ما فيه من حب ثم حاولت أن تطرد هذه الحمامات فلم تستطع . فطفقت تصفق للخادم تستعين بها . ولكنها هبت من نومها ، وهى على هذه الحال ، إحدى يديها على الأخرى تصفق بهما تصفيقا شديدا فخشيت على نفسها أن يلم بها سوء وهى لذلك لا زالت فى سريرها كاسفة حزينة تفكر فيما يكون .

ها ها ها .... خفض عنك ياعزيزتى ، ولئن صح ظنى فما حلم سيدتى الملكة إلا تفسير لتلك الحفلة التى قد اعتزمنا نحن معشر الوصيفات مفاجأة سيدتنا بها لتكون مفاجأة حسنة ، تدخل السرور على نفسها ، وسيبلغ بها الطرب مبلغا عظيما فتشاركنا البهجة ، وتصفق بكلتا يديها تصفيقا شديدا ، وهل حمامات القصر التى رأتهن سيدتك إلا نحن معشر الوصيفات فى ثيابنا الزاهية وأزيائنا الجميلة ؟؟

حقا إن سيدتى الملكة ، ملاك طاهر ، موهوبة ملهمة ، صادقة الأحلام فلله درها ودركن . ولكن ماذا تفعلن أمام جلالتها فى حفلة المفاجأة

سنريها رقصة الربيع ، ونسمعها لحن العندليب

المنظر الثانى : جلالة الملكة مضطجعة على أريكتها فى البهو الملكى ، وحولها الجوارى يروحن ، وليلى أمامها

— شديد على نفسى ياعزيزتى ليلى ، ما رأيته الليلة فى منامى .

— لا عليك يا مليكتى ، فنحن جميعاً فداك .

تبتسم الملكة قليلا ، وتنبسط أسارير وجهها . وتقول

— واعجبا ! ما أحلى هذا الشعور الذى غمرنى ، وارتاحت له نفسى ! ما أحلاه ! ما أحلاه !

— الحمد لله ! ! الحمد لله ! !

عند ذاك تقبل الوصيفات فى أزيائهن غير موعد سابق راقصات فتستوى الملكة فى مكانها جالسة وتقول :

— كأنهن حمامات اللوى ، أو عصافير الرياض ! !

هن حماماتك بالأمس ياسيدتى جئن يلقطن الأمانى من يديك

وتأخذ الوصيفات فى الرقص الإيقاعى برهة ، ثم ينشدن : —

أشرق الصبح المنير فى صفائه
وبدا الأفق يشير من سمائه
ودنا صوت البشير من ورائه
بين ترنيم الغدير ودعائه
وسنا الزهر النضير ورُوائه

وتغنى الورد ميالا على أغصانه
وتناغى الزهر مختالا على أفنانه

ينشد اللحن الجديد ، من فم الدهر السعيد ، عاش مولانا المليك

عاش عاش عاش

عاش مولانا المليك

تنزل الستارة فى الوقت الذى تقف فيه الملكة فتنثر عليهن الأزهار والحلوى:

عبد العزيز محمد خليل

مصر الجديدة الثانوية للبنات

ملاحظة : عقب المذيع على هذه الرواية بما يأتى :

(١) لقد كان لهذه الرواية أجمل الأثر فى نفوس المستمعين ، ولولا أنها ختام الحفلة لأعيد تمثيلها . وذلك لمطابقة موضوعها لهذه المناسبة السعيدة ولان التلميذات على صغر سنهن قد أجدن تمثيلها أيما إجادة وكان لجمال أزيائهن ، وفصاحة منطقهن ، وروعة النبر والأداء ما أثار دهشة المحتفلين ، فنهنىء مدرسة مصر الجديدة بما ساهمت من مجهود فى عيد جلوس مولانا الملك ، ونثنى على مخرج الرواية وواضعها

(٢) التلحين والإخراج من عمل المؤلف . والتمثيل من تلميذات القسم الابتدائى .

مسرحيـــة

الوفاء بالعهـــــــد

مثلت على مسرح مدرسة الزقازيق الثانوية سنة ١٩٤١

تاريخيـة أدبيـة خلقيـة

للأستاذ محمد سليمان صالح

زمن الرواية : عهد النعمان بن المنذر ملك الحيرة

مكانهـــا : بادية من بوادى العرب يسكنها قوم من طيء ومدينة الحيرة

أشخاصها :

١	النعمان بن المنذر	:	ملك الحيرة فى العراق
٢	شريك بن عمرو	:	وزير النعمان وجليسه الأمين
٣	القراد بن أجدع	:	من جلساء النعمان والمقربين عنده
٤	حنظلة الطائى	:	بدوى من طيء له فضل على النعمان
٥	بدر	:	ابن حنظلة الطائى الأكبر
٦	مالك	:	« « « « الأصغر
٧	سرحان	:	قزم من حاشية النعمان
٨	سعد بن مالك	:	بدوى قدم على النعمان

٩ عمرو بن مالك : أخو سعد بن مالك ، فى حاشية النعمان

١٠ الحرث : ابن القراد

١١ جنـود : فى استقبال الملك

١٢ سيـاف : فى تنفيذ الأوامر مسرع

١٣ وصيـف : لتقديم القادمين

١٤ رسـل : من العراق والشام وفارس

١٥ جلسـاء : وحاشية ونكرات مسرحية

الرواية مقتبسة من الأغانى . ومجمع الأمثال . وإعلام الناس ، وفيها جمل مقتبسة .

الفصل الأول

المنظر الأول : خيمة فى بادية أمامها فراء وجذوع نخل ، وعربى جالس مع ابنه وأمامهما قهوة — الوقت مساء — تسمع موسيقى خفيفة

حنظلة الطائى : (فى ضراعة وخشوع) يالله ! اشتد الجدب ونفد القوت وامتنع الغيث وكاد الضرع يجف . لقد كنا فى رخاء ونعيم فما زالت بنا الأحداث حتى أصبحنا وأمسينا فى حال تسر العدو وتؤذى الصديق . ويسأل من شلها العافية

بدر : (مواسيا) ماهذا القنوط يا أبتاه ؟ لا تسلم نفسك إلى الهواجس ولا تدع لليأس سبيلا يتسرب منه إلى قلبك وإذا كان النعيم قد

جفانا برهة . فما هى إلا سحابة صيف عن قريب تقشع . فإذا نزل الغيث عدنا أسعد الناس .

الطائى : (فى شبه يأس) إننى واثق بالله ياولدى ، عالم أنه لم يخلق العبد إلا وقد خلق رزقه — لم يخلق الله من خلق يضيعه — وإنى لاأخاف الجوع ولا العرى ، وإنما أخشى أن يحل بساحتى ضيف فلا أستطيع أن أقوم بما تفرضه على شيمى وخلالى ، فيرحل عنا وقد ظن لنا مالا فيوسعنا ذما

بدر : (فى ثقة وطمأنينة) لطالما حمد الناس فعالنا . وشكر الضيفان لنا كرمنا وجودنا ، فنحن آل طيء أعلى الناس كعبا فى الكرم . ومنا حاتم وقد سارت بذكره الركبان وتحدثت باسمه الشعراء ، فخلد للقبيلة ذكراً لاتمحوه الأيام .

الطائى : (فى يأس وكدر) وأين نحن من حاتم وكرم حاتم ؟ لقد كان يعقر الناقة للعجوز تكفيها مزعة من اللحم أو جرعة من اللبن ، وأنت تعلم أن ملك الروم أرسل يطلب فرسه العزيزة لديه ، ولم يكن أمامه سواها ، فنحرها لرسول ملك الروم .

مالك (يخرج من الخيمة نحو أبيه وأخيه) ابتاه ! لقد نامت الشاة على جنبها الأيسر فهل يجف لبنها إن بقيت كذلك ؟

الطائى : (يتصنع البشر) لاتخف يامالك ، (لابنه مالك) نحن ياأخا مالك ! إذا طرقنا طارق ، لم تجد سوى هذه الشاة الواقفة خلف الخباء وهى لاتسمن ولا تغنى من جوع . وإذا أنا ذبحتها وأطعمته إياها بقى مالك بلا لبن . وهو لم يعتد أكل اللحم بعد .

مالك : (منحنيا على والده) أبتاه ! أتوافقني علي أنِ أرضعَ مِن ثدي الشاة كما كانِ يعملِ ابنها ؟

الطائى : (يربت على كتفه) تمهل يامالك فسوف أقوم لحلبها وتشرب حينئذ ماتشاء

(مالك يحمل أدوات القهوة ويدخل الخيمة) (والطائى يتغنى فى حزن)

أرى دهرى يكدر لى صفائى فيالله من هذا العناء !
أيتركنا الإله بغير قوت ؟ ورب العرش أوفى الأوفياء ؟
غدا أسعى إلى رزقى وإنى لأعلم أنه لابد جائى
عسى سعة وتفريج لكربى فقد أمسيت فى شر البلاء

مالك : (عائدا) بماذا يتحدث أبى عن الشاة ؟ أيحلبها لأشرب اللبن ؟

بدر : (مطمئنا) سوف يفعل يامالك . فلا تقلق .

الطائى : (فى ضجر) ماهذه الكروب ياربى ؟

بدر : (فى لهجة الناصح الواثق) لا كرب ولا بلاء . والله أرأف بنا أن يتركنا لهذا الشقاء الذى تتخوفه . وتحسب له ألف حساب . واعل الغد يأتى بما فيه بسطة العيش . فلله فى كل يوم تدبير ، وفى كل ساعة أمر وتقدير فاصبر ففى الصبر راحة . واجعل أمرك إلى بارىء النسمات فقد أحصاها وعدها عدا وقدر لها أقواتها . .

وليس رزق الفتى من فضل حيلته لكن حدود وأرزاق بأقسام
فالصيد يحرمه الرامى المصيب وقد يرمى فيحرزه من ليس بالرامى

مالك : (مسرورا) لقد تعلمت الرماية ياأبتاه . فهل تريد صيدا ؟ غدا أخرج وأصيد ظبيا

(يسمع نباح كلب)

الطائى : (ينهض ومعه بدر) أحس طارقا . فمن ياترى ؟ أضيف فى هذا

الليل البهيم ؟ من السارى ولا قمر يضىء ؟ أرى شبحا

إلى بيتى يجىء فمن يمشى وهذا الليل داج ؟

مالك : (مرحبا فى تهامة) تقدم أيها الوجه الوضىء

الشبح : (يسمع من الخارج) غريب ضل عن إخوان صدق

الطائى : (مشيراً بالدخول) إلى هنا عصا التسيار ألق

الشبح : (متقدما) أعندك مأوى به أستريح وهذا حصانى على رابيته ؟

الطائى : (فى بشر وسرور) تفضل . فأهلا وسهلا وكن آمنا

مالك : (مشيرا بيده فخرا وفرحا) نحن أرباب ذى الناحية

الطائى : (مبتسما) على الرحب تنزل

الشبح : (داخلا فى تؤدة) لا مثقلا عليك

مالك : (وقد نظر إلى الفرس وعاد) له فرس جاليته

الضيف : « ملتفتا نحو الحصان » حصانى أفلت من قيده سأربطه مرة ثانية .

الطائى : « مسرعا » يقوم بذلك مالك ابنى

الضيف : « خارجا إلى عقل الحصان » مهارى لا ترتضى غير به

« يخرج الضيف . وينزوى الطائى وولداه »

الطائى : « لابنه بدر » لقد وقع ما كان فى الحسبان ياولدى . هذا ضيف أقبل الساعة عليه ترى الرياسة وبزة الملوك . ولئن صدق حدسى فما هو إلا زعيم فى قومه سيد فى عشيرته

بدر : « فى بشر وطمأنينة » حبا وكرامة لا بأس عليك .

الطائى : « فى حيرة وعجب » وكيف أقوم بحقه وهو بهذه المنزلة الرفيعة ؟

بدر : « فى ثقة » عليك الشاة فاحلبها

مالك : « بسرور وانشراح » وحق فى الحليب له

بأغذيتى سأكرمه على نفسى أفضله ...

بدر : (معجبا مسرورا) مرحى مرحى يامالك ! (يلتفت لوالده) سأحلب يا أبت الشاة ثم أذبحها وعند أمنا بقية من طحين . وسوف تهيء له طعاما شهياً ذا أربعة ألوان : اللبن والحساء ورقاق الخبز والشواء . فإذا حادثت ضيفك ساعة . أمكن أن يقدم لكما قرى يليق بمقامه السامى ، فتبيت أبا لضيفك ونحن له إخوة .

(الضيف يدخل ويخرج بدر ومالك)

الطائى : (يجلس الضيف) لعل رحلتك لم تكن شاقة . إن الصحراء قد تغر السارى فلا يهتدى سواء السبيل . وقد تدور رأسه . وربما وقع عن ظهر جواده

الضيف : (بعد اطمئنان) لقد خانتنى النجوم . وكنت فى رفقة من الصحاب إلا أنى أبعدت وأبعدوا حتى حال الظلام بيننا ؟ فلم أسمع لهم حسا ولم أعرف لهم طريقا .

الضيف : (مطمئنا) لا بأس يا أخا العرب . ليفرخ روعك وليهدأ جأشك وليطمئن خاطرك . فما هنا مايخيف . وما أنت إلا بين أهلك .

مالك : (يأتى وينحنى على الضيف) وأنت أخى ؟ متى ولدتك أمى ؟ لم أرك قبل الآن .

الضيف : (يأنس ويربت على كتفه) نحن كلنا إخوة يامالك .

مالك : (رافعاً الكلفة) وأين كنت غائبا ؟ هل كنت فى الصيد بجوادك هذا ؟

الضيف : (موجها الكلام للأب) كنت فى رحلة . ولم أتعود السير وحدى في ليل أو نهار ، ولولا أن حصانى سلك بى غير ماأريد ،

ماجاوزت طريق أصحابى . وقد أخذتنا ريح صرر عاتية أظلمت منها الوديان ، وفرقت بينى وبين من كان معى من الإخوان والخلان .

الطائى : (مسليا) لطالما حدث لى مثل هذا الحادث فضللت وأنا بالصحراء جد عليم وكان الليل البهيم يحول بينى وبين الاهتداء إلى الطريق الذى أريد حتى أشرقت الشمس اهتديت. وعجبت كيف ضللت السبيل إلى الجهة التى قصدت . وعند الصباح يحمد القوم السرى

الضيف : (فى استغراب) وكيف تهتدون فى ظلمات ليل كهذا الليل الذى لا يرى السارى فيه كفه ؟

الطائى : (بلهجة المعلم) إن لنا فى هذه النجوم اللامعة المنثورة هنا وهناك وفيما اعتدنا من ركوب الصحراء وما تجشمنا من المشاق المرة تلو المرة لهداية فى جنح الليل الحالك

مالك : (فى أسف) أما أنا فلا يسمح لى أبى بالسرى ليلا لخوفه على . ولكن متى كان تحتى مهرى ، فمم أخاف ؟ أنا لا أخشى الظلام .

الضيف : (ضاحكا) ألا تخاف ذئاب البادية يامالك ؟

مالك : (فى دهشة) وهل البادية وحدها ذات ذئاب ياأخا العرب ؟ لقد سمعت أن المدن كلها ذئاب

الضيف : (للبدوى) وكيف حال الغيث عندكم ؟ لئن كان على مارأيت الليلة من شدة العطش فما أسوأ حالكم !

الطائى : (فى رجاء) لقد انقطع المطر حتى أمحلنا . ولعل الغيث يجرى فى أثرك . فأنت يسير الغيث حيث تسير

مالك : (للضيف) ألا تعيش عندنا ياأخي فيزورنا العيث ؟

بدر : (يخرج من الخيمة) ياأخا طيء ! ادع ضيفك إلى الطعام فقد تم إعداده

الطائى : (ناهضا) ها قد أعد الطعام ياأخا العرب . فهيا بنا

مالك : (فى غبطة) وعلىّ تقديمُ الزاد والماء لفرسك العتيق ، على أن أركبه ساعة من نهار

الضيف : (مسرورا ناهضا) ولك كل ماتريد يامالك .

الطائى : (عارضا) يابدر ! اسمع ضيفنا قطعة من غنائك حتى يتم الطعام .

(يدخلان الخيمة وبدر يغنى على العود)

يأيها الليل الطويل أما سئمت من الثواء ؟
البدر فيك محجب والنجم يستره غطاء
والإلف فارق إلفه اين الصحاب الأوفياء
والفجر ضل طريقه فمتى توافينا ذكاء

الضيف : (بعد خروجه من الخيمة مع الطائى ويظهر ضوء الشمس) ياأخا طيء ! لقد كرمت ضيافتى . وانزلتنى خير منزل . وأنا الملك النعمان بن المنذر . فاطلب ثوابك والحق بى إلى الحيرة وسوف تنال مكافأتك أضعافا مضاعفة .

مالك : (يطير فرحا وقد حياه أبوه فأخوه) وافرحتاه ! إن أخانا ملك يابدر

الطائى : (منحنيا للتحية) أبقى الله ملكك . وأدام عزك . سأزورك فى الحيرة إن شاء الله .

النعمان : (بلهجة الآمر) علي بحصانى فإنى أريد الركوب واللحاق بأصدقائي

وما أظنهم إلا سهروا الليل باحثين عنى وقد أضناهم طول السهر
ونصب البحث وخيبة المسعى :

الطائى : (فى انحناء) أبيت اللعن أيها الملك . مازلنا نعرف فيكم آل المنذر
الشهامة والمروءة والعطف وإكبار الأمة العربية

مالك . حصانك يا مولاى قد جمع صفات كرائم الخيل

النعمان : (يمنح الغلام بدرة ويسلم ويودعه الجميع . . .)

المنظر الثانى : نفس المكان وتظهر علامات البؤس . »

بدر : (يرجو والده فى تؤدة) لقد طلب منك الملك النعمان أن تزوره فتنال
رفده . فجدير بك ياأخا طيء التعجيل إلى الحيرة ، بعد أن ذقنا
الأمرين فى هذا العام .

عسى فرج يأتى به الله إنه له كل يوم منة ليس تحصر

الطائى : (فى أنفة) أما دون ماتبغون عام وحجته ؟

بدر : (مطرقا يرجو إقناع والده) بلى إن إدراك المنى لميسر
فبادر ولا تأخذك لومة لائم

الطائى : (فى خوف وحذر) ألا إننى مما تريدون أحذر .
أأسعى ولم أمهله إلا سنية فيدرك إعسارى ؟

بدر : (فى شبه غضب) فماذا تقدر ؟

الطائى : (فى دهش) وماذا يقول الناس عنى إذا رأوا
رحيلى سريعاً ؟ هل على الجود نؤجر ؟

بدر (مقنعاً) يقولون ملك آثر الحمد والجزا فأغنى

الطائى : (فى رفض وإباء) وهل هذى المثوبة تشكر ؟
لعمرى إنى لا أرى ماترونه .

بدر : (فى بكا واستعطاف) وهل أحد منا على الجوع يصبر ؟

الطائى : (عاطفا) لعمر الحق لولا ما أصابتنا به السنون التى أكلت اللحم وعرقت العظم ماحركت رجلا إلى ملك أو سلطان

ولكنها الأقدار ترسل بالفتى إلى حيث لا يبغى

مالك : (متمماً فى فرح) ولا هو يؤثر

بدر : (راجيا ملحا) ياأخا طيء ! لقد أصابنا ماحسبنا به وكفى . وليس وراء مابنا من الهم غاية ولا فوق مابلغنا من الحاجة نهاية أقدم على النعمان ولا تطلب مثوبة ، فشيمة الملوك الإثابة والإجازة دون سؤال .

ورأيتنى فسألت نفسك سيبها

لى ثم جدت وما انتظرت سؤالى

الطائى : (برفض) إنى لأخجل أن أفعل هذا ؛ فنفس الحر تأبى عليه طلب الأجر على ماقدمت يداه .

مالك : (فى فرح) أتريد أن يرحل أبى إلى أخى الملك ؟

بدر : (مصمما) لئن لم ترحل إليه ، لأرحلن أنا ومالك .

مالك : (مهللا) هيا بنا ياأخى نرحل إلى الملك ، فأنا أعرفه جد المعرفة

بدر : (يستعطف) إنك لا تأمن أن يحل بك ضيف ، ونحن فى هذه العسرة ، فتعتذر فيملأ الدنيا بذكر ضنك وإبائك إسداء المعروف اليه . وعند ذلك يكون الموت أحب إلينا من هذه الحالة التى تريد أن نتردى فيها .

مالك : (مستبشرا) خير ضيف رأيته الملك الذى أطعمت جواده فهو يحبنى كثير الحب

الطائى : (مستسلما) سوف أرحل وأمرى إلى ربى

مالك : (فى مرح وسرور) وأنا معك ياأبتاه . وسوف أسرج مهرى وألجمه .

الطائى : (يتغنى متجها للخيمة)

إليك أسوق القول ياأم مالك

فلا تذرينى فى هواك معذبا

ولاتجزعى إن مسنا الضر إننا

نحاول ذكرا يخلد المجد طيبا

نحاول إكراما وجوداً ونائلا

ينال الدنا منه إذا دهرنا كبا

فلا تبرحى بيتى وإن أنا لم أعد فلا تهنى

مالك : (فى لهجة الناصح) ما الوهن منك محببا

بدر : (مودعا)

سافر وعد بسلام ياأخا العرب

ولا تمت هلعا من شدة الكرب

لاتخش شراً فمافى الناس من احد

يموت تارك يوم

مالك : (فى دهشة وخوف) هل يموت أبى ؟

بدر : (حانقا) لاتذكر الموت

الطائى : (يخشى القدر) لكن ربما قربت منية المرء إما جد فى الطلب

أخاف أن يغدر النعمان إن له كالأفعوان سموما فى جنى الضرب

مالك : (فى وجل) ولم تروح إذا ماخفت غدرته

الطائى : (رافعا يديه إلى السماء و يقبل ولديه) مشيئة القدر تلعب بى

لسوف أرحل تنفيذا لرغبتكم وليجر ماقدر الرحمن فى الكتب

[يقبل ولديه]

لكم وداعى ورب العرش يكفلكم إذا دعانى الردى أو كان عن كثب

ستار

لها بقية

محمد سليمان صالح

الفهرست